المنسور
رواية
محمود حمدان قطب

اهداء إلي كل قلب شجاع في فعل الحق...

تنويه... هام كل ماسيتم ذكره قصة من وحي الخيال وليس لها أي صلة بالواقع وإن حدث ذلك فهو من الصدف العابرة

....

المنسور

في بلدة بنجواس شمال بلاد الانجليز اغنياء طغاة لديهم نفوذ وسلطة كبيرة في التأثير علي من حولهم رغما عنهم او برضاهم حيث أن هؤلاء السادة لديهم أماكن كبيرة وكثيرة داخل وخارج القرية لممارسة الرذيلة بأبشع مستوياتها وبأقذر مما تسمع أو تري في حياتك.. حيث يرغمون الأطفال اللذين لم يبلغوا حتي الثامنة من عمرهم علي ممارسة الفاحشة بالقوة والعنوة حيث يأتي رجل تابع لهم يطرق الابواب ويدخل بكل جرأة ويأخذ الطفل او الطفلة ويجره في يديه والطفل يصرخ ويصيح وابويه يبكيان في عجز ومذلة واهانة دون القدرة علي منع ذلك الحقير لأن عند الممانعة يعاقب الوالد والأم بقطع ايديهما التي يتسلمها رجل شغله الأساسي تقطيع تلك الايادي المبتورة الي مربعات صغيرة حيث فيما بعد تقدم كوجبة للوالدين المعاقبين كتربية قاسية لهم عند رفض ممارسة طفلهما الفاحشة...

البلدة محصنة حصنا منيعا من كل الجهات فلااحد يستطيع الهروب إلا قبض عليه وقدم لمجلس القرية ليطبق عليه الحكم بالتقريض حيث يضعوه في غرفة مظلمة عريانا بها فئران متوحشة جائعة تنهش ماتريد منه وحظه إن بقي حيا أو لا حيث أنه في كلا الحالتين مغلوب علي امره في طاعتهم القذرة... واظن أن الموت أفضل حظا واكرم...

وأما عن كبير هؤلاء الفاسقين فهو الملك الحاكم لتلك البلدة ويدعي ريتشارد منكولا فهذا أكثرهم تمردا ودنائة وهو المفتعل الأساسي لتلك الافكار الابليسية...

ومن بين سكان البلدة يوجد رجل يدعي(ماتشف) وزوجته(جولاما) وهما صالحين لكن مغلوب علي امرهم ايضا وهم متزوجان منذ شهور والزوجة علي موعد قريب جدا من الولادة في خلال الاربعة ايام القادمة وعلي الرغم من كل ماشاع في القرية من مفاسد ورذائل طالت الجمع الأعظم من سكانها سواء رغبة أم رهبة إلا أن ماتشف وزوجته لم يتعرضا اطلاقا لأي مقدار من الرذيلة ليس لأنهم أصحاب نفوذ او قوة مضادة بل لأنهم في خدمة عملية دائمة لريتشارد الملعون(حاكم البلدة) في قطاع التعدين والتصنيع حيث أنهما مهندسان علي درجة عالية من الذكاء والانجاز العالي لذلك كان غفران لهم لعدم اجبارهم علي شئ من القذارة دون رغبة...

كان ذلك نظام ريتشارد في المعاملة اذا كنت لاترغب أن تمارس الفاحشة فقدم لي ميزة او عمل تجعلني اتغاضي عن اجبارك عليها...

الكلام بسيط لكن الأمر ليس بهذه السهولة فالعمل المراد او الميزة المذكورة ليست بشكل عادي بل بالقدر المبهر الذي ينعش اقتصاد البلدة ويجلب لها الأموال الكثيرة التي تجعلها في رخاء الرخاء وهذا كان متوفر في ميزة ماتشف وجولاما من خلال مهاراتهما الهندسية...

يبدو أن الزوجين من اوفر الناس حظا إن صح التعبير لكنهما أتعس بالتأكيد اذا تم مقارنتهم بالمجتمع الحر الغير متقيد بشروط مجحفة تلزمهما العمل كعبيد عند حاكم شيطاني ظالم...

يأتي يوم الولادة للزوجة وتنجب طفلا ذكرا له طلعة بيهجة جعلت العيشة المعتادة في غاية الجمال والفرحة وسموه (ترميس) لكن الشر والظلم يأكل جنات الأرض وينهي الايام السعيدة حيث أن الحاكم الملعون علم بخبر المولود الجديد فقرر أن يجعله تحت رعايته بعيدا عن ابويه أي يستخلصه لنفسه لأن في اعتقاده أن هذا الطفل بالتأكيد يحمل جينات الذكاء من والديه الرائعين اذا لماذا لا يجعله عبدا خالصا عنده ويكن ذراعه الأيَمن بتربيته الخاصة له....

بعد ثلاثة أيام من ولادة الطفل وصل رسول الحاكم إلي بيت ماتشف واخبره أن الزعيم ريتشارد يريده فورا هو وزوجته وطفله الصغير في قصره...

ارعب ماتشف وجولاما من الأمر لكن ليس من الحضور لقصر الحاكم بحد ذاته لكن لماذا تم ذكر المولود في حديث الرسول وماذا يخطط ريتشارد في حقيقة الأمر؟ !....

وعلي الفور وبتضجر وهم ثقيل وحزن شديد أسرع الوالدين ومعهما صغيرهما إلي قصر ريتشارد دون أن يتناقشا اطلاقا من قسوة الذهول...

تركب الأسرة عربة الحصان مع المبعوث من الحاكم وتنطلق العربة تجاه القصر مع قلوب َمنطلقة في ظلمات وحزن أظلم

وصلت عربة الي بوابة القصر وتنزل الأسرة وحقا إنها مذلة ومسَكنة حلت علي قلوب الأبرياء...

يدخل ماتشف وجولاما حتي وصلا إلي مجلس الملعون ريتشارد وابتسم لهم في مكر ولم يرواغ في طلبه بل تحدث بكل اجحاف قائلا"اعلم ياماتشف اني منحتك انت وزوجتك الكثير والكثير لكي تكونا احرار ولا اكرهكما علي شئ وانتما تعلما أنكما ملكان لي وآمركما كما اريد لذلك طفلكما هذا لي..!"

تصرخ الأم جولاما قائلة "ارجوك لا هذا ابني ولم تكتمل فرحتي به لتأخذه مني... ارحمني واجعلني اربيه واعدك أنه سيكون دائما في خدمتك كما نكون... "

كما استكمل الأب قائلا" نقسم لك سنكون جميعا تحت قدميك وارفق بنا ياملكنا العظيم"...

ابتسم ريتشارد في سخرية وتحدث قائلا "ويل لعاطفة الأمومة والأبوية ايها الاحمقان... حسنا حسنا!... "

ثم تحدث ريتشارد بجدية وبصوت مرتفع قائلا" ايها الخادم (تساركر) خذ الطفل وادخله في الغرفة التي اخبرتك بها سابقا... "

حاولت الأم التمسك بالطفل بقوة اثناء نزعه من يدها وكذلك الأب حاول ملاطفة ريتشارد في مذلة ليكف عن اصراره لأخذ الطفل قائلا" ايها الملك العظيم طلبك نافذ ومراد لكن اترجاك دعنا نربيه لك ونرعاه كما تريد ونعلمه الاخلاص الكامل لك... ارجوك دعنا نفرح بيه ونربيه في احضاننا.."

ابتسم ريتشارد واشار بيديه في سخرية قائلا "اقترب مني اكثر ياماتشف..."

ينظر ماتشف في شفقة وهو يقترب وفجأة لطمه الملك بصفعة قوية علي خده لدرجة انه نزف من فمه... ثم تحدث ريتشارد بصوت مرتفع بغلظة جاحدة قائلا" منذ متي وقد جعلت موضعك من موضعي لتتفاوض معي وتناقشني للمعارضة... اسمع ايها الكلب العبد عليك بالمغادرة فورا انت وقرينتك الحقيرة واتركا الطفل الذي هو لي وإلا قطعته اربا اربا وجعلتكما تأكلانه..."

تماسك ماتشف من شدة الانهيار وقبض علي يد زوجته واشار اليها بضرورة المغادرة فورا قبل أن يبطش بهما الملك الملعون بداية من طفلهما لكنها لم تتماسك واخذت تصرخ وتصيح بأعلي صوت وماتشف يسحبها للخلف بقوة للخروج حتي تمكن من المغادرة بها والوصول لمنزلهما وهما في قمة الحزن والانكسار.....

ماتشف يحاول تهدئة زوجته علي الرغم انه منهار مثلها فاخذ يحدثها بأنه سيجد حلا سريعا للخروج من هذا المأزق واستعادة صغيرهما...

جولاما تصيح وتلطم علي وجهها اكثر وتقول "لقد ضاع ولدي... ضاعت حياتي.."

يرد ماتشف قائلا بعصبية "ارجوك ياجولاما اهدأي.. اهدأي!... لاتزيدي الأمر سوءا وانهزاما... اعدكي بأنني سأنقذ طفلنا من ريتشارد المفترس في أقرب وقت.."

تنظر جولاما إليه في هذيان وتقول "اعلم أن ولدي قد ضاع أمامي عيني وما الحل مع هذا المفتري الحقير... ريتشارد! "

ثم اخذت تهدأ شيئا فشيئا وتستوعب مايقوله زوجها ثم ردت عليه قائلة" وكيف ننقذ طفلنا.. ماخطتك؟!... "

تنفس ماتشف قليلا ثم قال" اولا اعلمي لكي يكمل صغيرنا حياته بسلام وتمام يجب أن يترك البلدة نهائيا ويرحل... "

ترد جولاما قائلة بعصبية قليلة "وكيف وانت تعلم أن هذا مستحيل وإلا كنا فعلناه لأنفسنا منذ زمن بعيد..."

يرد ماتشف قائلا " بالنسبة لنا فالأمر صعب جدا أما طفلنا فهو الأسهل والأغرب لأن الطفل خفيف الوزن... "

ترد جولاما قائلة" وماذا تقصد بخفيف الوزن؟!... "

يرد ماتشف في ثبات "اسمعي عزيزتي ماساطرحه عليك لاتعتبريه درب من الخيال او الوهم والعبث... طفلنا سيحمله نسر ضخم بمخالبه عندما نضعه في حقيبه َمحكمة ملصق عليها قطع من اللحم الطازج كي يظن النسر أنها فريسة كبيرة وطعام عظيم... ألم تأخذي في اعتبارك أن هذا الوقت بالتحديد هو موعد قدوم النسور المهاجرة من أماكنها الأصلية مرورا ببلدتنا لتسترح وتتغذي قليلا ثم تواصل رحلتها حتي جنوب آسيا ناحية بلاد الهند...حيث تكمل دورة حياتها... "

ثم يستكمل ماتشف قائلا" وأما عن النسر الذي سيحمل الحقيبة الموضوع فيها صغيرنا سنضع رسالة بداخل الحقيبة توصي بمن سيجد الحقيبة برعاية ابننا حتي نصل اليه بترتيبات أخري بعدما ننجح في جزء المهمة الاولي.. "

تتعجب جولاما وتقول" ومن ضمنك أنه سيصل في أيدي أمينة سترعاه ثم كيف اوفقك علي هذا الجنون... هل انت بخير ياعزيزي!... "

يرد ماتشف قائلا" انا بخير وستتأكدي أنني علي صواب وافضل حل ممكن.. اولا لقد علمت من احد عمال قصر الملك يدعي (كامن) وهو رجل طيب يحب الخير قد اخبرني سرا سابقا بأمر هذه النسور أنها يمكن حمل أي رسالة بها بأي لغة حيث هناك في الهند مترجمين متعددين يمكن فهم وترجمة الكتابات علي أعلي المستويات كما أخبرني أمرا أكثر من ذلك أن هناك قبيلة تسمي(مندواغو) وهم أناس طيبون أهل ضيافة وكرم بالغ جدا لايتركون سائلا أو محتاج إلا واعطوه مايريد بدون مقابل... "

ترد جولاما باندهاش قائلة" وتقصد بذلك أننا سنرسل طفلنا في الحقيبة ويحملها النسر اليهم ليرعوه لكن بقيت مشكلة اكبر من ذلك...اذا فرض أن الطفل وصل إلي قوم مندواغو الكرماء كما ذكرت فكيف سنصل إليه نحن لنكمل حياتنا مع صغيرنا.؟!.. . "

يرد ماتشف قائلا " أعلمي يازوجتي العزيزة أنه يجب فعل مافي أيدينا ونترك البعيد أو الصعب لحين التمكن منه فالآن فرصتنا الأولي في امكانية تهريب ترميس بعد ذلك نفكر كيف سنصل اليه وبمشيئة الله سنفعل... أما حاليا فلا أملك خطة لذلك... "

تنظر جولاما بحزن وتدمع عينيها خشية ألا تري طفلها مرة أخري فعلي الأقل وجوده في البلدة تحت التربية الفاسدة لريتشارد سيكون أمام عينها لكن لن تملك الارادة هي وزوجها لرعايته وتنشأته بصلاح وخير وَمن الممكن ألا يستطيعا محادثته او احتضانه لأن ريتشارد قلبه ميت ولن يسمح مطلقا بهذا...أما بالنسبة لخطة ماتشف فيمكن أن تنجح وبعد ذلك يفكرا في خطة الوصول اليه وترك بلدة بنجواس الجحيمية بملكها الحقير!...

لكنها أخذت قرار بعد مقارنة عنيفة ووفقت علي خطة هروب الطفل المجنونة فما هناك غيرها حقا..!

بقي الآن في المستقبل القريب هو كيفية الوصول أصلا إلي الطفل ترميس الموضوع تحت قبضة الملك الغاشم لكن الحلول والعقليات النشطة تفعل المستحيل خصوصا في مثل هذه الظروف...

انتظر ماتشف وزوجته في اليوم التالي حتي انتصف الليل وهذا تقريبا هو الوقت المناسب حيث قد وصل الملك وحاشيته وبقية الحقراء إلي درجة عالية من السكر والضياع الذهني والأخلاقي علي أعلي مستويات لكن بالدناءة....

وهيهات وهيهات لذاك اليسر الكاذب فالحراسة المشددة تعوض حالة الفقدان والسكر حيث تقف مئات الأعين والأيادي الحاملة للسلاح والانتباه الفائق المتربص لأي محاولات من العامة لرد حقوقهم اذا فكروا أن يأتوا إلي القصر ويفعلوا مايشابه مايريده ماتشف...

علي الرغم أن ماتشف أحضر غزالة وربطها في البيت لحين استخدامها في الغرض الشهي المقصود..بالاضافة إلي الحقيبة...

وبدأت دائرة الخطة تتسع عن ماتشف وجولاما حيث بعث الزوج إلي(كامن) انه يريده في بيته حالا وهو كما تم ذكره أحد عمال القصر الذي دله علي أمر النسور المهاجرة وأمر قبيلة مندواغو الهندية....

ومن الجميل أن نشأت علاقة قوية في الأشهر الاخيرة بين كامن وماتشف وهذا ليس بغريب فالاثنان طيبان صالحان ويقعا تحت ظلم بائس مشترك من ريتشارد الطاغية فلماذا لايصفا القلبان لبعضهما البعض؟!..

ومن حسن الحظ أن زوجة الرجل الطيب (كامن) تعمل مربية أطفال لمن...؟.... للطفل المرغوب (ترميس) فهذا كان مفتاح أول للتفكير من أين ستبدأ الخطة حيث بدأ ماتشف الحديث مع كامن وكشف له عن حقيقة خطته واستحلفه أن يساعده في مراده فهذا ابنه المملوك ظلما للملك الظالم...

توتر كامن كثيرا حيث سرح في لو علم ريتشارد بالأمر وفشل المخطط وحكم عليه وعلي زوجته بأبشع أنواع التعذيب المرعبة... بالاضافة للمصير المشؤوم والاعنف للزوجان ماتشف وجولاما... فالقتل لجميع الأطراف مؤكد لامحالة لكن الأكثر تنكيلا مايسبق الموت من تعذيب وذل واهانة حتي يصبح الموت أمنية..!

يستمر ماتشف في محاولة اقناع كامن بالتعاون معه هو وزوجته المربية التي تدعي (ليليا) ويعده بأنه سيكون مدينا له طيلة حياته بما يريد منه وبأي ثمن... هناك نظر كامن بجدية أكثر في عين ماتشف وحدثه قائلا"لا ياصديق أنا لااريد منك أي رد جميل أو دفع أي أثمان يكفي أنك رجل صالح تريد الاصلاح والتعمير في ظل حكم فاسد فاجر من قلب رجل ميت (ريتشارد)...!.... المشكلة الكبري والخوف فيما نخشاه جميعا اذا فشلت الخطة وصدقني لو أعلم بالنجاح الآمن المؤكد لناصرتك فورا ولكني حقا خائف ومتوتر.. "

يرد ماتشف قائلا" لك الحق في ذلك ياكامن واعلم إن كان ريتشارد يمتلك القوة الباطشة وملك هذه البلدة هو وحقرائه المعاونين فنحن نمتلك الحيل والأساليب التي تعمي هذه القوة عنا علي الرغم من ضعفنا الهائل أمامه لكن كقوة وليس كعقل وتفكير فأنت تعلم يقينا أن ريتشارد غبي أحمق لايسعفه غير المال والحكم الذي ورثه عن أبيه... فدعنا ياصديق نتغلب علي قوته بسلاح الحق والحيلة الذكية ولما لا نفكر أيضا في خطة للهروب نحن وأسرنا جميعا ونرحل عن تلك الأرض الظالم ادارتها.. "

فكر كامن قليلا محاولا تقليب الأحداث والتوقعات في عقله عن اذا طاوع ماتشف وشرع معه في خطته حتي استقر علي رأي قوي صلب ورد قائلا" حسنا ياسيد ماتشف... انا موافق علي كل ماقولته وأعلم أنني مااخترت ماتريده ليس مجاملة ولا محاباة فالأمر أكبر من ذلك فنحن سكان بلدة بنجواس منذ أن تولت السلالة الفاسدة التي أتي منها ريتشارد أمور الحكم ونحن في مآسي وصعاب وإهانة علي حساب حقوقنا وانسانيتنا فآن الآوان أن نواجه تلك الافعال

والافتراءات بالحيل كما ذكرت حتي وإن استكمل أبنائنا المسيرة حتي يشع نور الحق من بنجواس!... "

شعر ماتشف وجولاما بسعادة بالغة من كلام كامن ذلك الصديق سريع الفهم واضح الرؤية والبصيرة...

بدأ ماتشف وجولاما يرسمان الخطة المناسبة لتهريب الطفل (ترميس) خلسة من خلال أحد النسور المهاجرة التي ستمر في الصباح الباكر علي البلدة لتتغذي قليلا ومن ثم تنطلق إلي مسافات أكبر لتستقر في بلاد الهند حيث توجد هناك قبيلة (مندواغو) المرادة... لذلك يجب الاسراع فورا في تنفيذ خطة مناسبة سريعة لأن النسور لن تمكث في بنجواس إلا القليل جدا ومن الصعب حاليا ايجاد خطة أنسب من هذه.....

توصل فريق الخطة(ماتشف وجولاما وكامن) في نهاية الحديث إلي أن كامن سيتحدث مع زوجته عندما يذهب للقصر الليلة ويخبرها بأمر ماتشف وزوجته والطفل ترميس وأنهما في أمس الحاجة للمساعدة وألا تقلق أبدا من أي أمور ستقوم بها لأنها لن تفعل غير الصواب والحق حيث ستدهن جلد الطفل بمادة حمراء اللون تلسع الجلد قليلا كفيلة بجعل ترميس يبكي عندها ستتحجج لريتشارد أن الولد (ترميس) قد اصابته حالة نفسية غريبة تصيب بعض الأطفال نتيجة البعد عن الأم لذلك يجب أن يبات الليلة في الهواء الطلق ليرتاح وينام قليلا حيث أن هذا سيخفف توتر الطفل إلي حدما..عندها ستتظاهر ليليا ماشية أنها تحاول تهدئة الطفل الذي يصرخ حتي تقترب أكثر من سورالقلعة عند ثغرة معينة محاطة بأشجار كثيفة.. صحيح أن القلعة كلها بها حراسة مشددة لكن ثمت حيلة سيقوم بها أحد أبطال عملية الهروب(السيد ماتشف)..!

بالفعل وصل كامن إلي زوجته في القصر دون أن يشعر الحراس بأمر مريب عليه حيث تظاهر بطبيعته المعهودة ولم يشك أحدا به حتي الآن...

يدخل كامن علي زوجته (ليليا) وهي تقوم بحمل الطفل ترميس لترضعه قبل أن ينام نوم لايعرف مامصيره..

ينظر كامن الي زوجته نظرة غير مريحة ليس نظرة قاسية لكنها نظرة توحي بشئ جديد سيحل عليهما قريبا وعسي أن يكون خيرا باذن الله....

وبالفعل ليليا المربية الذكية لديها فراسة ماكرة فشكت بأمر كامن وحست أنه يريد شئ غريب بخصوص الطفل المغلوب علي أمره من قبل ريتشارد الذي ابعده عن والديه مبكرا كأنه يتيم لكن بالقصد!...

هناك اقترب كامن من زوجته أكثر وبدأ بنبرة صوت خافتة قائلا"عليكي ياحبيبتي بأمر عظيم الليلة..." ثم اخبرها بحقيقة الأمر صراحة ومايريده منها...

تعجبت وسرحت ليليا من فكرة الهروب لكنها تقبلت كلام زوجها بصدر رحب وسر أمين وخير تلبية لدورها حيث تحدثت إلي زوجها قائلة "منذ أن وعيت علي هذه البلدة البائسة وأن أتمني

أن اغير من حالها لكني لم أستطع إلا الآن أن أنقذ روح طفل برئ من بطش الفاسدين السكيرين حتي لو كلفني حياتي.. الأهم أن افعل شيئا يعارض هذه الاتجاه اللعين!.."

حمد كامن ربه علي تفهم زوجته للأمر مثله بل أكثر... لكن يجب الاسراع بالخطة فلم يبقي إلا ساعة وتشرق الشمس ويأتي سرب النسور المهاجرة..

استعدت البطلة ليليا للقيام بالخدعة المراوغة حيث دخلت إلي غرفة الصغير ومعها المادة الحمراء المعطاة من كامن وبدأت في خلسة دهن جلد الطفل سريعا الذي كان مستغرقا في النوم... وبينما تقوم بتلك الفعلة يقطع نفسها فجأة فاذا ريتشارد يدخل عليها..!

وقتها صعقت صعقا شديدا لكنها تماسكت وحاولت ألا تظهر أي ارتباك أو رعشة في اليدين.. وكان ريتشارد ثملا لكن بشكل جزئي أي أنه في جزء من الوعي فالخطر من كشف الخطة ممكن...

ينظر ريتشارد إلي ليليا كالمعتوه إن صح التعبير ويتحدث قائلا " هل الطفل ظهر عليه أي ملامح ذكائية وقدرات ذهنية خاصة؟ .."

تتعجب ليليا من كلام هذا السكير!..! لكنها أظهرت الجدية وارادت كيدا قائلة" بالطبع ياسيدي أنه طفل موعود حقا بالحظ السعيد حيث لاحظت عليه العديد ممايوحي بذلك.. فهو نبيه ومدرك تماما لكل ماحوله عكس أقرانه تماما.. وأحدث نفسي كثيرا أن هذا الولد ماهو إلا رجل كبير في صورة طفل من شدة ألمعيته...! "

يبتسم ريتشارد ابتسامة الأغبياء البلهاء وكأنه وجد ضالته.. ثم يتحدث قائلا"أشعر أن هذا الطفل سيكون ذراعي الأيمن بدءا من الآن.. "

وقبل مواصلة الحديث لأي منهما اذ بمفعول المادة الحمراء ظهر علي الطفل وبدأ بالبكاء محمرا لون جلده فهذا من تأثير حساسية المادة علي الجلد...

ينظر ريتشارد بانتباه للطفل كأنه أفيق من سكره ويتسائل مابه وكان سيستدعي طبيبا فورا وستنكشف الخطة شيئا فشيئا لولا أن حاولت ليليا كثيرا طمأنته وذكرت له بدهاء أن الطفل فقط متوتر قليلا نظرا لبعد أمه عنه لكنه بخير ومايفعله الطفل دليل علي يقظته وفطنته فكان من الطفل العادي أن يبكي قليلا ثم ينسي حضن أمه أما ترميس الفذ لا..!

تسري النشوة أكثر في قلب ريتشارد الدنئ كلما سمع مثل هذا الكلام المشجع علي السعادة.... ثم ينظر إلي ليليا بغيبوبة قائلا" افعلى الصواب مع هذا الطفل الموعود ليكن مرتاحا وسعيدا... والآن ساذهب لانام فانا متعب.."...

تبسمت ليليا قائلة "حسنا سيدي كما تريد... ولاتقلق علي الطفل سيصير جيدا في وقت قريب..." وقبل أن تنهي ليليا جملتها الأخيرة انصرف ريتشارد السكران دون تعليق...

التقطت ليليا أنفاسها وحمدت الله علي قدر غباء ريتشارد المتميز الذي أسعفها لتصديق ماروته عن بكاء الصغير...

اطمأنت ليليا أن ريتشارد ذهب للنوم في جناحه الخاص ثم حملت الطفل وتظاهرت أمام الحراس أنها ستصطحبه في نزهة في الحديقة المحيطة بالقصر تنفيذا لاوامر الملك حرصا علي راحة الطفل...

تقترب ليليا حاملة للطفل من أحد الأشجار العالية الضخمة الموجودة في آخر سورالحديقة حيث يقف بعدها مباشرة أفراد من الحراسة القوية كما يوجد أفراد أمن علي أبراج المراقبة لذلك يجب الحذر بشدة فالأعين كثيرة.. وتنتظر ليليا بترقب شديد ساعة الصفر حيث يتم تسليم الولد لابيه (ماتشف)....

يقف الحراس في أشد انتباههم فلاسكر ولاكسل ولاغباء لكن مايحدث الآن بالتحديد مربك للغاية فهناك فئران ضخمة متجهة ناحيتهم بفزع بحجم القطط وبسرعة الفئران المعتادة وبها مفرقعات مربوطة علي ذيولها الطويلة تدوي صوتا فظيعا وتعطي ألوان كثيرة مع ضباب كثيف تسببت في ربك الحراس اللذين صاروا كالمجانين يضربون الرصاصات في كل اتجاهات الفئران حتي أن بعضهم أصيب ومات جراء التصويب العشوائي.. وهذه الفئران تم تجميعها من مستنقعات تكثر فيها هذه النوعية من الضخامة وتم اطلاقها من حقيبة ضخمة من علي بعد ٨٠٠متر من القصر كان يحملها ماتشف علي ظهره بعدما اشعل الفتيل الرئيسي المربوط به جميع ذيول الفئران وبالتالي اشتعلت المفرقعات المربوطة بها وانسابت الفئران تجاه القصر وفي ذات الوقت كانت توجد الحقيبة الأخري التي كانت مغلفة باللحم (التي سيحمل فيها الطفل) وأخذ ماتشف يتسلل سريعا حافظا الطريق وسط الضباب الكثيف إلي الشجرة التي تقف خلفها ليليا بولده حيث بجذعها ثغرة يعبر منها الحراس في المعتاد وأخيرا تمكن ماتشف من أخذ ترميس خلسة من ليليا بعدما شكرها سريعا بامتنان كبير ولم يسع الوقت للتعبير بالعرفان والجميل أكثر من ذلك...

واستمرت حالة الارتباك مايقرب الربع ساعة حتي تجاوزت الفئران القصر فمنها من أختبأ في جحور ومنها من هلع وسط الأراضي الزراعية والقليل منها مات في حديقة القصر من رصاصات الحراس.. وبدأت الرؤية تتضح شيئا فشيئا حتي اختفت الألوان المفرقعة والضباب ويقف الجنود حياري مهزومين من ماذا؟!... من مجموعة فئران هاربة!... لكن الهزيمة الكبري بحق هو أن عملية تهريب الطفل (ترميس) نجحت بجدارة... فلقد استطاع الوالد (ماتشف) الوصول بسرعة راكضا الي قمة مرتفعة بعيدة إلي حد ما عن القصر ومعه الحقيبة المغلفة بقطع لحم غزال شهي وقتها كانت الساعة الخامسة صباحا حيث بدأ الصبح يتكشف من ظلمة الليل... وياجمال الحظ والتوقيت الرائع فسرب النسور يحلق عاليا يبحث عن وجبة هنيئة تعينه علي مشقة السفر الطويل... ولاداعي للقلق فالطعام موجود ومن يتناوله علي أهبة الاستعداد فالرغبة تقول "هلم ياأكلي اللذيذ.. تعال واطفئ الجوع.."...

ومايصعب فعله رغم السهولة في تنفيذه أن الأب الحزين الفرح يضع فلذة كبده في الحقيبة المغلفة باللحم ويبكي بكاءا حارا... لماذا تبكي ياماتشف؟! وانت من اقترحت هذه الفكرة المجنونة واقنعت الأم جولاما بها ومن ثم ساعداك كامن وليليا رغم أن الأمر علي قطع رقبتهما وقد تحديتم كلكم نظام ملك ظالم قوي من أجل محاولة جريئة...

هيا ياماتشف افعل فعلتك الصعبة وإلا ستندم أكثر فعلي الأقل سينجي ترميس بعيدا عن ريتشارد المفتري!...

ويحاول ماتشف تجميد قلبه ليغلق الحقيبة باحكام ويبتعد حتي يأتي أحد النسور ويلتقتها.. وقبل أن يقدم علي شئ شعر ماتشف بحركة ورائه واذ يلتفت فيجد الأم جولاما في حالة انهيار وبكاء وقلب منكسر تنظر اليه فتبكي أكثر حتي اقتربت من الحقيبة وودعت طفلها بخالص الأمومة والحب الصافي وتحدثت اليه كأنه يعقل ويفهمها قائلة "كان الله في عونك ياحبيبي..سافتقدك كثيرا... لم أهنأ بك منذ أن ولدت فقد أخذت مني عنوة... لعل الله ياقلبي يجعلك الداء الفاني لهذا الملك الظالم..."... ثم يقاطعها ماتشف قائلا "هيا ياجولاما فسرب النسور قارب علي الذهاب..الأمر عظيم ياحبيبتي لكنه الصواب.."...ثم يقفل ماتشف الحقيبة حتي بدت كقطعة لحم كبيرة وابتعد الزوجان متخفيان خلف أحد الصخور حتي تطمئن النسور وتهبط وتأخذ اللحم وتنجح المهمة بسلام...

وبعد أقل من دقيقة لمح أحد النسور قطعة اللحم المغرية وأخذ قراره بالهبوط ليحصل علي أفضل هدية في طريق سفره حتي نزل لمبتغاه ووضع منقاره للتذوق فوجده أحلي وأشهي من المنظر نفسه فهذا لحم غزال شهي تربي علي المراعي الطبيعية الغنية اذا لابد من الاندهاش به...

وهبط مع النسر السعيد مجموعة من السرب ليحصلوا هم الآخرين علي وجبة دسمة لكن هيهات هيهات فيبدو أن النسر الأول هو الزعيم حيث أظهر غضبه وزاد بريق عيناه لمن حوله كأنه يحث بالذوق والأدب علي ترك الوجبة له ومايفيض منه فيكن لهم وإلا سيستخدم غريزة القائد الغضبان المجنون علي رعاياه مثل ريتشارد المغفل!...

ينهال النسر الزعيم بمنقاره علي قطع اللحم الغزالي حتي أخذ نصيب وافر منها ثم نزع بعض اللحم وألقاه بجانبه ليحصل السرب علي مايسد جوعه فقط وليس الشبع فهذا عندما يحن الزعيم علي قطيعه فقط لكي لايموتوا جوعا ولايتبقي له من يصير زعيما عليه... وتلك نزعة من نزعات الملك الظالم...!...

ولاداعي لظلم النسر الزعيم أكثر من اللازم فهو مازال له دور رئيسى في عملية الهروب للطفل المحظوظ (ترميس) حيث بدأ يفعل كما خطط له حيث يتوسط قطعة اللحم الكبيرة التي هي في الأساس حقيبة مغلفة باللحم غزال شهي ثم غرس مخالبه الحادة الطاعنة في اللحم حتي استقرت فيه جيدا و التي لو دخلت مباشرة في الطفل لجرحته أوقتلته...

ثم يبدأ النسر في التحليق بالهدف المقصود وينظر الزوجان المسكينان لعملية التحليق هذه كأنها انتزاع للحم قلبيهما بعيدا بعيدا في الهواء المفتوح بلاقيود ولاشروط..فالاقدار والصدف هي من ستحسم وترسم الواقع الجديد لطفل هربه نسر خارج مملكة الظلم والاستعباد البشري بقيادة الفاسق ريتشارد!... وماهي إلا هفوات معدودة حتي اختفي النسر الزعيم بالطفل بباقي السرب علي مدي الأفق...كان الله في عونك أيها الطفل المسكين لاتنسي والديك ولا أصدقائهما اللذين تحالفوا جميعا علي نجاتك من جناح الظلم والفساد.. اجعل قلبك يبصرك إلي

حقيقة أصلك ونسبك ويعرفك مقدار حب والديك لك وأنهما لم يتركاك أبدا إلا للخير ولمصلحتك... لعل الله يجمعكم أيها الأسرة المناضلة في بيت واحد آمن من جديد....

هدأت الفئران تماما واختفت وانكشف الضباب والجنود تحيط بالقصر تبحث عن أسباب ماحدث وبدأت مجموعات منهم تنتشر في البلدة كلها للبحث عن تفسير ماحدث فهل سرقت أموال أو كنوز من الملك أو أي شئ آخر من مهماته؟!...مالذي حدث بالضبط؟!...لهذا أمر كبير الحرس الجنود بالتشديد والتيقظ للبوابات الضخمة المحيطة بسور البلدة فربما يكشف اللص أو من نفذ هذا الهجوم الفئراني العنيف قبل أن يهرب؟!...

يشعر ماتشف وجولاما بالارتباك والخوف الشديد كأن الجنود تبحث عنهم لكنهما تذكرا العهد علي أنفسهم أن يحدث مايحدث المهم أن طفلهما نجا.. لكن الاحتياط والحذر واجب مع الشجاعة لذلك انفلاتا سريعا من ونزلا من التبة المرتفعة وذهبا متخفيين إلي بيتهما وأغلقا الباب جيدا وجلسا في ترقب لأي تحركات من جهات سيادية... ولاشك أن الخوف والضعف بدأ يتخلل في قلب الزوجين لكن ليس ضعف التهاون في الحق بل الخوف من بطش الظلم وهذا لاذنب لهما فيه...

في المقابل يسري الرعب أكثر في قلب كامن وليليا المخلصين فهما أساسين في عملية الهروب الغامضة وفي ذات الوقت يستيقظ الملك ريتشارد مفزوعا من نومه وسكره بقلب مقبوض وتقريبا هذه من المرات النادرة التي يصدق فيها قلب الملك القاسي فيشعر بشئ غير مريح متعلق بالطفل وأول مايأتي الملك يصل إلي غرفة المربية ليليا التي من المفترض ترعي فيه الطفل الموعود ليكبر في رعاية وخدمة الملك.. وتلك أول ساعة من ساعات المساءلة والحساب اذ يقف الملك المفزوع ويسأل ليليا أين الطفل؟!...ترتبك المربية ووتتعتع في الكلام فيعيد ريتشارد السؤال بغلظة وصوت مخيف أكثر... تتماسك ليليا داخل نفسها وفجأة تجهش بالبكاء وتقول" لقد سرقوه مني بعدما هددوني بالقتل عندما رفع أحدهم السكين علي..." وقبل أن تكمل ليليا بقية التمثيلية صرخ ريتشارد في وجهها ولطمها لطمة رنانة أدت إلي جرحها في خدها ويقول لها"كان الأولي أن تموتي ولايسرق طفلي.. لايسرق كنزي وأملي.." وينهال عليها بالضرب أكثر وتصرخ صراخا فزع منه أهل القصر بما فيهم العامل كامن الذي قبض قلبه ظانا أن الأمر وخطة الهروب قد كشفت وقالت ليليا كل شئ ورحلة العذاب للموت ستبدأ من الآن...واندفع كامن إلي غرفة زوجته التي تضرب وتهان وهو لايستطيع أن يصد يد ريتشارد عنها الذي اشتد في السطو عليها حتي تجرأ كامن وأمسك بيد ريتشارد قائلا "مهلا سيدي زوجتي تعرضت للتهديد بالقتل وسرق منها الطفل قهرا كما قالت لك... صدقني هذا ماحدث.."

ينتفض ريتشارد ويدفع كامن ويحدثه قائلا "كيف تجرأت علي مسك يدي هكذا... أيها المخبول.."

يرد كامن "عفوا سيدي كيف أترك زوجتي تضرب أمامي وهي مظلومة وضعيفة... وحاشا أيها الملك العظيم أن أتجرأ عليك أبدا أو أي أحد فانت قوتنا وملكنا... "... أما داخل نفسية كامن فهو غضبان وثائر ويريد تقطيع لحم الملك ورميه للكلاب.... ثم يستكمل كامن قائلا"

صدقني يامالكي لقد رأيت جزء مما حدث أمام عيني كفيل لتبرئة زوجته المسكينة.. لقد شاهدت ملثمين هددوا زوجتي بوضع السكين علي رقبتها لتعطيهم الطفل وعلي الرغم من ذلك رفضت ليليا وأثرت التمسك بالطفل حتي أخذ منها بعدما افلتوه من يديها وهربوا سريعا وفي ذات الوقت كنت أنا واقفا بعيدا اركض نحو زوجتي لادافع عنها لكن اللصوص استطاعوا الهروب وسط الضباب الكثيف الذي عم المكان المنبعث من المفرقعات الموضوعة في الفئران المذعورة التي أثارت الارتباك بين الحراس وحدث ماحدث..."...

هدأ ريتشارد قليلا محاولا التفكير في كلام كامن لعله يكن علي صواب وترك ليليا ونظر إلي الزوجين قائلا" سنحقق في الأمر وسيكشف من الجاني الحقيقي وسيحاسب حسابا عسيرا... " وينظر بالأخص في الجملة الأخيرة إلي ليليا بانتقام أكثر...

يترك ريتشارد الغرفة بقلب مكسور ونفسية حزينة تقريبا لأول مرة في حياته فمايمثله الطفل له كان شئ عظيم من ضمن رغباته وسطوته... ثم يذهب الملك إلي مقر ادارته ليتابع التحقيقات أول بأول فهو متحمس حماس انتقامي لمن يثبت ادانته في عملية هروب الطفل والادانة هنا شربة موت عنيفة..!...

يأتي كبير الحرس المدعو (شهيمن) ليخبر الملك بالمستجدات وهي أنهم حتي الآن لم يجدوا أي أثر لمن قاموا بعملية السطو بالفئران ويبدوا أن من قام بهذه العملية فرد أو فردين بالكثير لذلك كان سهل اختفاء المهاجم بسرعة... يقاطع الملك شهيمن قائلا "هل تعتقد أن ماتشف وجولاما لهما يد في هذا الأمر وربما يكونا من قاما بعملية السطو لكن حتي وإن كانا كذلك فأين خبئوا الطفل فمجال الهروب محدود..." لذلك أمر الملك بمواصلة التحقيقات وارسال مجموعة من الجنود إلي بيت والدي الطفل لتفتيشه جيدا لاحتمال وجود الطفل مخفيا فيه ووضع الزوجين تحت المراقبة الدائمة للتأكيد علي علاقتهما بعملية الهروب من عدمه...

..

يتم تنفيذ الأمر علي الفور ولايوجد حتي الآن أي أثر للطفل سواء في بيت الوالدين اللذين تظاهرا بالبكاء والصراخ عندما أخبروهما الحراس باختطاف طفلهما وذلك من باب الحيلة حتي يخفيا فعلتهما وتحدث ماتشف للحراس قائلا"ساذهب إلي الملك لأفهم ماالذي حدث بالضبط لابني" فنصحه الحراس أن هذا فعل ممنوع طالما الملك المعظم لم يأمر بهذا لذلك فليلزم ماتشف وجولاما حدودهما..

ولايوجد الطفل حتي في أي بيت في البلدة ولاحتي في أي جحر فالجنود شنوا عملية تفتيش واسعة شاملة في كل أرجاء البلدة...

الأسباب غير معروفة وعملية الهروب مازلت غير منطقية فأين ذهب الطفل وأين ذهب المهربين أنفسهم..؟!..

الملك ريتشارد مرتبك ومتوتر لكنه غبي تقريبا في كل المواقف لذلك يتابع شهيمن كبير الحرس عملية التحقيقات ببالغ الأهمية لعله يحصل علي رضا الملك ليفوز فوزا كبيرا منه

بترقية أكثر أو أموال أو شئ من متاع السلطة والفرصة فعلا متاحة لهذا لأن عقل الملك أحمق وفي حاجة ماسة لمن يساعده ويفكر لهذا العقل المشلول..

يفكر شهيمن مع بعض المعاونين له في عملية الهروب ويتحدث قائلا"لست أعرف أين ذهب الطفل؟! فهو بالتأكيد ليس داخل أراضي بلدتنا بنجواس ولم يهرب من البوابات الخارجية... ولكنني أظن ظنا يميل لليقين أن والدي الطفل(ترميس) لهما يد وفكر في عملية الهروب لأن من مصلحتهما فعل ذلك لأنهما أكيد سيفعلان المستحيل لاستعادة طفلهما من الملك المستحوذ علي كل شئ من شعب بلدته حتي وإن كانت التكلفة حياتهما.. "

ثم يحدث شهيمن نفسه قائلا" وبصراحة الملك ظالم ظلم جاحد لينسب الطفل لنفسه..ويأخذوه من والديه فربما هما فكرا في استرداده مرة أخري... " ولو باح شهيمن بالجملة الأولي ووصلت للملك لنتسب للفقر والموت لأن الملك ذي نفس عزيزة ولايقبل أن يقول أحدا عليه أنه ظالم أبدا وإن كان كذلك...

يستمر اجتماع كبير الحرس (شهيمن) والمعاونين لمدة الأربع ساعات وفي ذات الوقت تصل إليهم أخبار التحقيقات أول بأول للافادة المستمرة...

كلما فكر شهيمن أكثر بعد كل هذا مال جدا أن ماتشف وزوجته هما من هربا الطفل وربما كانت خطة الهجوم الفئراني من صنيعهما لكن الشئ المحير فعلا أين الطفل أصلا وكيف هرب في المرحلة الأخيرة؟! ...

فجأة يدخل ريتشارد الاجتماع ويقطع التفكير العميق ويتحدث قائلا "هل وصلتم إلي من خطف الطفل.. هل هما ماتشف وجولاما ليضم ابنهما إلي حضنيهما رغما عني... هل استدعيتما الآن للمثول أمامي والاعتراف علي كل شئ فانا احترق من داخلي غيظا وغضبا..."..

يتحدث شهيمن نيابة عن الجميع قائلا "بالفعل كدنا نصل إلي من الفاعل ولكن يامالكي العزيز نحتاج إلي التريث والهدوء وعدم كشف تحركاتنا حتي نتكمن من كشف الجاني ومعاقبته كما تريد لكن اذا استدعيت ماتشف وجولاما وعذبتهما للاعتراف فلن يبوحا بشئ لذلك يجب أن نأخذ القضية بدهاء وحكمة أكبر كما تعلمنا دائما أيها الملك الأعظم.. "

ثم يستكمل شهيمن قائلا بابتسامة للملك" دع الأمر كله لي ياسيدي وسترضي بنتيجته في القريب العاجل.."

الملك ريتشارد لم يعلق وانصرف إلي خمارته وهو حزين حزن الأب الذي فقد ولده مبكرا... ماذا تظن نفسك ياريتشارد هل حقا الولد ولدك أيها الظالم؟!...

انتهي الاجتماع واختلي شيهمن بنفسه ليحل اللغز الخفي وظل طوال الليل يحث شيطانه علي الوسوسة له بفكرة جاحدة تأتي له بفك الشفرة وحسن الظن عند الملك وعلي قرب انتهاء الليل وصل إلي فكرة يجس بها نبض ماتشف وجولاما للتأكد من فعلتهما ويعرف أين تم تهريب الطفل؟...

وها قد استجاب الشيطان ووسوس له بأن يذهب باكرا إلي والدي الطفل لينفذ خطته...

في المعتاد من ماتشف وجولاما أن يذهبا يوميا لمكان عملهما الشاق في بداية الصباح ويسلكان معا طريقا واحدا للوصول إليه وفجأة يعترض طريقهما رجل ملثم في هيئة رجل ضعيف محني ظهره يستوقفهما ويهمس لهما أنه يريدهما في خلوة ليخبرهما أمرا هاما بخصوص طفلهما...

يضطرب الزوجان ويرتبكا لكنهما يتماسكا لأن ماهو أصعب قادم....

يخلو بهما ذلك الملثم محني الظهر ويهمس في أذن ماتشف قائلا "لقد وصل الطفل ترميس إلي المكان المطلوب والأَمن.."... يتعجب ويخفق قلب ماتشف وزوجته ويتحدث الزوج قائلا "أي مكان آمن... أنا لاأعرف مكان ابني ومن هربه ثم من أنت ياهذا؟!..."

يرد الملثم بثبات قائلا "أنا رسول قادم من القوم اللذين هرب عندهم الطفل وجئت لاخبرك أن خطتك نجحت وأن الطفل في أفضل حال وقريبا ستذهب انت وزوجتك إليه عندما تحين الفرصة.."

يسكت ماتشف وكأنه عجز عن الكلام فينظر إليه الملثم ويستكمل قائلا" لاتقلق أيها السيد الجليل فسرك معي وأنا معك ولك الحق فيما فعلته لأنه ملك ظالم فعلا..."...

يرد ماتشف قائلا بقلق" ومالذي يجعلك متأكدا أنني من هربت ابني... ماتقوله هراء ولا أعرف أي خطة تتحدث عنها ولن أفعل مايجعل الملك غاضبا مني أبدا..."

يرد الملثم قائلا"اسمع لن اكلمك كثيرا كي أضيع وقتي ووقتك... أعلم أنك تشك بي وخائف من علم الملك بأمرك... لكن لاتقلق فكما ذكرت أنا في صفك لأنك علي الحق المبين.. "

ثم يستكمل الملثم قائلا" ستتأكد من أنني رسول النجاة والحل الأول والأخير لهروبك أنت وزوجتك إلي خارج البلدة الظالم أهلها.. وساكشف لك عن وجهي لتراني لكن ليس الآن لأسباب للأمان والتخفي من حراس الملك اللذين يجوبون جميع شوارع البلدة من أجل البحث عن ابنك ترميس...."

ثم يستكمل الملثم قائلا" منتظرك الليلة ياسيد ماتشف عند مركز عمال الحطب في الغابة الكبري لاكشف لك عن نفسي واساعدك في الهروب انت وزوجتك إلي طفلك.. ارجوك تعال ولن تندم.. "

ثم يترك الملثم الزوجين اللذين اصبحوا في وضع مرتبك وشكوك كثير تجول في خاطرهما... فمن هذا الرجل وكيف علم أنهما هربا طفلهما وهل وصل النسر الحامل اللحقيبة التي بداخلها ترميس بهذه السرعة إلي البلدة البعيدة المقصودة؟!...مما اضطر لمن سقط عنده الطفل أن يأتي اليهما ليطمئنهما فممكن أن يكون الطفل سقط في مكان أقرب غير الأرض المراده...

يتواصل التفكير المرهق علي عقل الزوجين وهما ذاهبان للعمل.. فهل يذهبا بالفعل للمكان الذي سيقابلا فيه هذا الرجل الملثم الغريب المشكوك في أمره..

ينتهي الصباح بعد يوم شاق مرهق كالعادة لأهل البلدة ويحل الظلام الدامس وقبل أن يصل ماتشف وزوجته إلي البيت فكرا جيدا في قول الرجل الملثم لعله فعلا يكون فاعل خير ويريد

مساعدتهما خصوصا أن سمعة ريتشارد السيئة مدوية في البلاد القريبة المجاورة ويشفق كل من يسمع حكاية شعبها المظلوم لذلك فالأمر غير مستبعد أن يمد أحد يد النجاة لأي فرد من الشعب اذا كانت الفرصة تسمح بذلك... فلو كان الملك يريدهما لبعث اليهما ليحقق معهما اذا اراد ذلك فالمعروف أن ريتشارد متهور وسريع الغضب وقليل الحيلة وخططه كلها مكشوفة فالميل فعلا للخير وصدق النوايا علي حد اعتقادهما لأن أيضا مفتقدان طفلهما ويريدا رؤيته في أسرع وقت خصوصا الأم الحزينة جدا...

ينازع القلب بعضه بعضا فماذا سيحدث لو قبض عليهما أثناء لقاء هذا الملثم من قبل حراس الملك البطاش لكنهما ارادا المخاطرة مرة أخري في سبيل جمعهما بطفلهما الهارب خارج الوطن...

يتخفي الزوجان متتبعان حتي وصلا إلي الغابة الكبري كما اخبرهما الملثم للقائه والكشف عن حقائق وايجاد خطة لهروبهم سريعا إلي ترميس...

يقف الزوجان في الغابة المظلمة مرتبكان حتي سمعوا بخرفشة وراء الأشجار الكثيفة وفجأة يخرج الملثم لكنه مخيف ومهيب ويبدو منه القلق والحذر ويقترب أكثر من الزوجين وتحدث اليهما قائلا"لقد احسنتما صنيعا بمجيئكم إلي هنا يبدو أنكما أذكياء وعلي درجة عالية من الوعي والتفكير الموزون..."...

ثم يستكمل الملثم في جدية قائلا "هل لاحظما أي أحد منذ الصباح وجود أي قلق أو خوف بدي عليكما علي أنكما من هربا الطفل..."

يرد ماتشف قائلا "لا اطلاقا.."...

يرد الملثم قائلا" لقد كانت خطة هروب محكمة حقا... لقد نجحت بالتمام ومايؤكد ذلك أن الملك ريتشارد لم يستوعب أنكما بالفعل قمتما بتلك الفعلة الذكية... "

يرد ماتشف قائلا" اذا كنت تعتقد فعلا أننا من هربا الطفل.. اثبت لنا ذلك..."

يرد الملثم قائلا" اثباتي الأول هو قدومكما إلي هنا لاساعدكما في الوصول إلي طفلكما اللذين هربتاه.. "

يرد ماتشف قائلا" هذا ليس اثبات!..."

ثم يستكمل ماتشف قائلا" اما آن الاوان أن تكشف لنا عن وجهك وتخبرنا بحقيقتك المخفية؟!..."

يرد الملثم قائلا" لاتقلق... كل شئ في أوانه..ما أود اخباركما به حقا الآن أن الطفل سقط علي الأرض وبه جرح كبير في رأسه... لكن لاداعي للقلق فحالة ترميس مستقرة.. "

ترد الأم مفزوعة قائلة"كيف حدث ذلك لقد كانت مثبتا جيدا في الحقيبة التي يحملها النسر....لابد أنه بخير ولن أصدق غير ذلك.. "ثم تبكي الأم بصراخ عالي ويحاول ماتشف

تهدئتها والذي هو الآخر مصدوم علي طفله فكيف يسقط من النسر علي الرغم من التثبيت الجيد والآمن...

يرد الملثم قائلا"اهدئي ياسيدة جولاما ابنك بخير ولم يسقط من مخالب النسر إلا عند ارتفاع بسيط فالحمدلله علي اللطف به... "..

وفجأة يكشف الملثم عن جهه لكن مازال الوجه غير واضح الملامح ويتحدث ضاحكا"لقد وقعتكما في الفخ!...لقد تأكدت فعلا أن ظني صحيح وأنكما هربتا الطفل.."...

يرتبك الزوجان ويتحدث ماتشف اليه بعصبية قائلا" وانت مفتري وخائن... ماذا تريد منا ومن انت أصلا؟! .. "..

يقترب اليه شهيمن حتي عرفه ماتشف لأنه كبير الحراس معروف لاغلبية أهل البلدة خصوصا الزوجان اللذين يعملون لحساب الملك شخصيا...

يقف شهيمن مبتسما بسخرية إلي الزوجين الضعيفين ويتحدث قائلا"يجب ألاتعتقدا أنكما أذكي وأكثر دهاء من الملك أو حتي رجاله وخدامه المخلصين.. فهما كنتما مهندسين بارعين فلن تتفوقا أبدا علينا.." ويخرج رجل فجأة شديد الغلظة والقسوة من بين الأشجار مندفعا تجاه ماتشف ماسكا رقبته ليخنقه... إنه الملك ريتشارد الغاضب من صنيع الأبوين الرحيمين لطفلهما من الظلم الجاحد...

كان ذلك الفخ القوي الذكي من عقل شهيمن الذي استدرج الزوجين في الكلام حتي اعترفا بدون قصد بل بسبب العاطفة الكبيرة وذلة الحب الفطري لصغيرهما.. وقد وعد شهيمن الملك بأنه سيعلمه الليلة بكشف صاحب عملية الهروب حيث سيختبأ خلف أشجار الغابة الكبري ويسمع الاعتراف بنفسه ليتسني تفريغ غيظه فمن يثبت عليه التهمة...

كاد ماتشف يموت من شدة الاختناق من قبل الملك الماسك رقبته بقوة مفرطة والزوجة تصيح وتستغيث ويبدو أن دهاء شيهمن لم ينفذ بعد حيث حاول تهدئة الملك وابعده بلطف عن رقبة ماتشف لأن لديه كلام هام يريد اسماعه للملك ثم يتحدث قائلا"لاتغضب ولاتكلف أعصابك مالاتطيق.. فالموت لامحالة لهذان الخائنين اللذين وعدتهما بتربية ابنهما أفضل تربية في كنف الملوكية الراقية لكنهما فضلا المرواغة وعمل الألاعيب لأخذ مالايحق لهما.. اذا يستحقان الذل والهوان وسحقا لهما.."

ويتحدث الملك الغضبان إلي ماتشف وجولاما قائلا "اعلما أيها الخائنان لقد منعت عنكما أذي كثيرا وقوة مني لقد عززتكما وكأنكما من خاصتي لكن يبدو أن دم العبيد الخونة يجري في عروقكما..اذا يحل اراقة دماء تلك العروق لأنها فاسدة وغير صالحة لرضا وسعادة الملك المعظم.."

ثم يأمر ريتشارد الحراس بتقييد الزوجين ووضعهما في عربة المسجونين إلي القصر حيث سيبيتان الليلة في غرفة ماقبل العذاب وهذا لايعني الرحمة بل أنها ذات عذاب من نوع خاص... أولا مظلمة ومقرفة وبها براز آدمي وفضلات حيوانات كريهة الرائحة بفظاعة قاطعة النظير كما بها فئران قارضة لكل شئ امامها حتي الجدران نفسها مجوفة من الداخل من كثرة

ممرات الفئران العابرة بها كما للحشرات المتوحشة نصيب من هذا المكان العفن وأنواع كثيرة من الروائح الكريهة فلكل صنف من العفن رائحة شنيعة تمزج مع الأخري لتكون قوة موحدة للكراهة الكبري...

يوضع الزوجين في الغرفة الجهنمية ويبكيان أشد بكاء ليس من كم القذارة والعفانة بل من ضعف حيلتهما وانكسارهما أمام الملك الباطش الذي علي وشك قتلهما بداية من رحلة العذاب هذه...

وكيف سيريا ابنهما مجددا فباب الموت قارب علي الفتح لهما؟!...

وقد ذهب الليل بمرارة وطلع الصبح الذي ربما يكون ساعة الحياة الأخيرة حينها أتي حارس الغرفة وفتح الباب وكأن المشهد لحظات الاعدام الأخيرة لمسجون مظلم وظلمه بين...

يسير الزوجان في مذلة وعلي ملابسهما بقع من الدماء من شدة قرض الفئران في جسدهما وتطفل الحشرات الوحشية أيضا عليه ومقدار كبير من الوهن والأوجاع...

يسير الزوجان خارج القصر عند المنصة الملكية التي عم حولها حشود ضخمة جدا من أهل البلدة بأمر من ريتشارد ليشهدوا علي الفضيحة الكبري بتهمة الخيانة للملك الموقر!...

يصعد الزوجان إلي المنصة ويقفان بهيئتهم المسكينة التي أبكت الحاضرين من أهل البلدة المساكين لكن هذا البكاء بالتأكيد سرا داخل النفوس وإلا أوقفهم الملك نفس وقفة الزوجين المظلومين...

يتحدث الملك بصوت جهوري للزوجين قائلا"أولا تحدثا بأعلي صوت أنكما من هربتا الطفل عصيانا لي وتعدي علي رغبتي.."..

فجأة تتغير هيئة المسكنة من علي ماتشف الذي رد بقوة وشجاعة قائلا"بالتأكيد أيها الملك الحقير نحن من هربا الطفل... طامعين أن ينعم ابننا بالحرية والانسانية بدلا من الذل والاهانة والاستعباد من قبلك انت وباقي السلطة القذرة.. "

يبتسم الملك بسخرية قائلا" حقيقة لقد كنت مخطئا عندما عاملتك معاملة راقية أنت وزوجتك ولم أنفذ رغبتي الكاملة فيكما... لقد قد أعيدت الفرصة إلي لأعوض كل ما فات لاسحقكما سحقا تتغني به البلدة كلها.. "

ثم ينظر الملك إلي الجمع الغفير قائلا" انظروا أيها الشعب الفاضل.. وعوا فالمعاملة ستتغير معكم جميعا وستأخذوا امتيازات أكثر لأنني بصفتي ملك متواضع واحب شعبي قررت أفيض بحب أكبر عليه..لكن من سيثبت ادانته مثل هذين الخائنين فسيلقي عقابه مثل ماستروا الآن.."

قبل أن يبدأ ريتشارد المجنون في تنفيذ عقابه القسري نظر ماتشف نظرة الوداع لأهل البلدة المساكين وتحدث قائلا" انتم وصيتي أيها الشعب الطيب.. كونوا دائما قوة متحدة في مواجهة ظلم هذا الملك الخسيس الذي استحل ضعف شعبه من أجل رضا شهواته التي لاتنتهي من قذارتها هو وحاشيته.. لاتخافوا أبدا ولاتترددوا فاعلم أنكم مشفقين علي أنا وزوجتي الحبيبة

لكن أقسم لكم أنني أشعر بالفخر والشرف أني أكلم ريتشارد الملعون بهذا الكلام لأن الحياة أصبحت رخيصة أمامي لأموت وأنا رجل شريف يكره الظالمين..."..

ولم يطق ريتشارد سماع كل هذا حتي أخذ السوط من يد أحد رجاله وانهال بجلد وجه ماتشف حتي نزف دماء من علي خديه وهو صامت مبتسم... وأما عن جولاما فكانت تبكي بشدة ليس من الضعف أو من عذاب الملك بل لأنها لن تري ابنها مجددا ولم تشبع رغبتها حتي بحضنه في بداية حياته... أين الرحمة يابشر؟!... لكنها أوقفت البكاء للحظات وتحدثت قائلة للناس "ان كنتم أيها الشرفاء تريدون مواساتي انا وزوجي بعد موتنا فاخبروا ابننا ان قابلتوه في يوم من الأيام أننا نحبه بحياتنا كلها وفديناه بها وأنا متأكدة أن ترميس ابني سيقدر حبنا له.." ثم اجهشت بالبكاء الحارق...

يضحك الملك ويصفق كأنه يري مسرحية من نوع الكوميديا لكن علي ذوقه الدنئ... فأي مسرحية هذه؟!... وأي استمتاع وتلذذ بتعذيب حياة بريئين؟!... كما أصلا العذاب حقيقة لم يبدأ بعد...

يتحدث ريتشارد بجدية قائلا" انتهي وقت الكلام وأتي الاستعراض الأخير لتكتمل مسرحية الخونة!.."...

يشير ريتشارد إلي مجموعة من رجاله اللذين يحملون آلات حديدية غريبة الشكل ألا وهي آلات التعذيب ونزع الأعضاء!...

يأتي الرجل الأول فيضع في يد ماتشف وجولاما قارض الأصابع حتي انتزع أصابعهما من كفيهما وهم يصرخان صراخا عاليا روع جموع الناس.. الدماء..! الدماء..! تتساقط متفجرة من مكان القطع بلامانع ولامدواة فأين الرحمة من الأساس؟!...ثم يمسك ريتشارد يد واحدة من كلا الزوجين ويعصرها عصرا ليمزج طبعه القاسي القذر بالآلام الرهيبة لعله يشبع رغبته اللامتناهية في شهوة الانتقام بغير وجه حق!..ولم يكتف بذلك بل قرر اكمال التعذيب بنفسه حيث أخذ قاطع اللسان وقبل الاستخدام أخبر ماتشف "هل تود أن تقول كلمة مسكينة أخيرة..." حتي بصق الزوج المسكين في وجه ريتشارد الذي اغتاظ لكنه أخذ يضحك كالمعتوه وأمسك بالآلة اللسان وقطعه علي الفور وألقاه علي الأرض.. ودهسه بحذائه القذر.. من أنت أيها السافل لتفعل بلسان رجل شريف هكذا؟!.. ولم تتمالك جولاما مارأته يحدث لزوجها حتي أخذت تصرخ صراخا آخر غير صراخ قطع الأصابع بل صوت أكثر حرقة وتقريبا سيكون الصراخ الأخير...

ويأتي الدور علي صاحبة الصوت الأخير وقبل أن يقطع لسانها تحدثت قائلة"والله لن تنعم أبدا بالحياة...لعنة الله عليك يافاجر.." ابتسم الملك الفاجر وتحدث قائلا"ولاحاجة لنا أيضا بهذا اللسان الرذيل." ثم قطعه!...

الآن تعلو أصوات الآهات بدون لسان حيث وصلت الآلام حدا بالغا حتي شعر الزوجان أن الآلام بدأت تختفي من شدة الصدمة...

واقترب طلوع الروح من الجسد المسكين حيث يقوم الملك الماجن بشق صدر الزوجين وانتزاع قلبهما حتي أنه لم يكتف بذلك بل قرر قطم قطعة من كل قلب ليشفي غليله أنه قدر علي الزوجين ولم يعجزه شئ عنهما.. ماذا تظن نفسك ياريتشارد؟! أنت انسان أيضا وعاجلا أن آجلا ستموت ويالها من أمنية لشعبك حتي ينتهوا من ظلمك وعدائك للرحمة..أيها الجبان الذي تستند لسلطتك ورجالك لتنفذ حقارتك دعنا نعرف مدي رجولتك لو كنت وحيدا..

خرجا الروحان الشريفان للزوجين بعد اهانة وقسوة وظلم والموت بأبشع الطرق لكنهما ماتا علي الشرف وعزة النفس وهنا يكمن مايمكن أن يفعله الوالدين من أجل الحياة الهانئة لأبنائهم فحيلة التهريب بالنسر لم تكن سهلة نفسيا وعمليا لكن العاطفة والحب والذكاء من ماتشف وجولاما لابنهما (ترميس) كان من أجمل الانسانيات وغريزة الضني حتي وان كان سيحدث لهما أفظع مماحدث...

تحرق جثث البطلان (ماتشف وجولاما) حتي أن ريتشارد لايطيق أن يدفنهما في تراب بلدتهما فهما لايستحقا من وجهة نظره!.. بدأت جموع الناس تنفض بعد أزمة نفسية كبيرة علقت في قلوبهم جميعا فالأهالي المساكين يشعرون بالخزي والهوانة وأن ارواحهم لم تعد في جسدهم بعدما شاهدوا كيف فاضتا روحين البطلين بعد عمليات النزع!... و بجانب هذا يتمني جمع كبير من الناس لو يسلق الملك ريتشارد في*وعاء كبير ويقطع إلي أجزاء تكفي أن يأكل كل واحد من الشعب منها حتي يشعروا بطعم رد ظلم المسكينين الشريفين(ماتشف وجولاما)..وهم علي يقين أن سيأتي وقت علي ريتشارد ليذوق مرارة كأسه فلم يوجد علي وجه الأرض ظالم استمر ظلمه للأبد.. فمنهم يشعر أنه خالد وما هو إلا ميت تعيس..

وأكثر المصدومين حقا بنهاية الزوجين هما الزوجان كامن وليليا اللذين ظلا في بكاء عميق حارق لأن لديهما قلبين رحيمين ولم يتحملا فظاعة ماحدث.. ويشعران بأنهما مقصرين في حق ماتشف وجولاما لأنهما لم يقتلا الملك أو يفعلا أي شئ سوي قلة الحيلة فصحيح أن ريتشارد سفيه وغبي لكن يحيط به حراسة شديدة تفتك بمن ينوي المساس بأمان الملك المدلل... ولن ينجو من يتجرأ علي التعبير حتي بالرفض والغضب...

كان يوما عصيبا فيه مرارة لاذعة لكل سكان البلدة فالدرس كان قاصيا ولايتبني أي منهج للرحمة لكن هيهات هيهات للنتيجة التي يريدها الملك من الشعب وهي التقديس للحاكم! بل علي العكس تماما فقد بدأ يتولد شعور قوي من الكراهية والعدوانية العملية تجاه ريتشارد واعوانه والأفضل من ذلك أصبح الفعل المضاد وشيكا من قبل السكان..

وعلي الجانب المشرق مازال سرب النسور بقيادة الزعيم مهاجرا مكتسحا آلالف الأميال أملا في تأمين الحياة وبالمرة لسلامة الطفل ترميس المحمول في الحقيبة المغلفة باللحم.. فالنسر الزعيم متمسك بتلك الحقيبة إلي ابعد الحدود فهي ثروة كبيرة له وحصة غذائية لتأمينه أثناء سفره الطويل..

نعم الرفيق أنت أيها النسر الزعيم الذي صان الأمانة ولم يعرف حقيقتها وهذا كله خير ونعمة من الله ورحمة للوالدين المسكينين..

باقي علي الوصول للأراضي الهندية مايقرب من الخمسة أيام حتي يهبط النسر في الموطن الجديد حينها ستبدأ تربية الطفل علي منهاج القوم الجدد..

يتوالي الليل والنهار مرة بعد مرة حتي تأتي الساعة الفجرية الأخيرة لتلك الرحلة الشاقة ويبدأ سرب النسور في الهبوط بفرحة عارمة فلقد وصلوا إلي أرض الأحلام لتكاثر أعدادهم... ومكان الهبوط تحديدا في غابة تقع شمال شرق بلاد الهند حيث الحيوانات والطيور المتعددة في الفصائل وثقافة شعبية جديدة علي ماكان سيربي الطفل...

النسر الزعيم يهبط في آخر موقع للغابة الشمال شرقية حيث توجد مرعي كبيرة لصاحبها الرجل الموقر الشيخ اسماعيل تجاني من قبيلة مندواغو ذلك الرجل ذي الخمسين عاما ثري النفس والمال وله مالذ وطاب من السمعة الطيبة في قرية تدعي "راطشان" حيث أنها مركز للأعمال والتجارة الكبري ..

يجلس الشيخ متأملا في ملكوت الخالق حيث انها بالتحديد الخامسة فجرا فقد اعتاد الشيخ الجميل علي ساعة كاملة لذكر الله شاردا في ماخلق في السموات والأرض.. نعم الشخصية والرجولية أنت أيها الانسان الشريف...

كانت ساعة الذكر هذه المرة فريدة من نوعها حيث جد عليها وجود سرب النسور يلوح في الافق لكن النسر الزعيم أراد أن ينفرد بفريسته التي طال جوع البطن عليها فما كانت إلا لحم غزال شهي مغلف لحقيبة بداخلها الطفل المحظوظ ترميس.. رحم الله والديه...

يهبط السرب في الغابة بينما يهبط النسر الزعيم في المرعي نفسه حتي لاتنظر اليه أعين في أكله..يلاحظ الشيخ النسر من بعيد ولم يستغرب مما يحدث لأنه طبيعي أن تحمل النسور أي شئ من غذائها في رحلتها.. وكاد الشيخ ينصرف لعمله الباكر لولا أن لاحظ شئ أسود تحت هذا اللحم الكثيف يزعج النسر الذي يضرب بمنقاره فيصطدم ويعود بلالحم.. مالذي تفعله أيها الطائر الزعيم يكفيك حصولك علي وجبة كافية من لحم الغزال الشهي الذي اعده لك الوالد ماتشف المسكين؟!...لقد أكلت وشبعت وأديت واجبك علي خير بوصول ترميس إلي الأرض السعيدة وهذا شرف كبير لك قبل أن يكون خدمة منك لأنك لم يكن قصدك المساعدة ولا الواجب أصلا...انت استغللت يازعيم في الخير...

والآن قد هدأ النسر الزعيم لأنه ببساطة حصل علي الوجبة الدسمة الكافية وبما أن لاعقل له فلن يعنيه أمر الحقيبة التي تحت بقايا اللحم فهذا لايخصه لكنه جذب انتباه الشيخ اسماعيل الذي اقبل اليها بعدما حلق النسر في الأفق ليتصل بسربه.. يقف الشيخ ويدنو من ذلك الجسم المبهم تحت بقايا اللحم التي بدأ في ازالتها حتي كشف الحقيبة حينها أعتقد أن هذا النسر لص محترف فقد يكون أن هذا اللحم كان يخص شخص ما والتقطه النسر منه سواء خلسة أو بالمواجهة.. لكن لماذا اللحم مغلف للحقيبة وليس في داخلها فهذا يرجح عدم مصداقية الاحتمال الأول.. لكن المؤكد أن الحيرة لن تدوم وأول الحقيقة يبدأ عندما يفتح الشيخ الحقيبة ويرتجف جسده عندما يري طفلا صغيرا نائما يتنفس بعمق..

ويجد بجانبه رسالة ملفوفة يأخذها ويفتحها ليجد وصية باللغة الانجليزية ولم يكن الأمر صعبا ليفهمها لأنه بالفعل يجيد الانجليزية وعدد من اللغات بشكل متقدم...

تقول الرسالة"إلي صاحب النظرة الأولي علي ابني الغالي" ترميس" استغيث بك بعدما فاض الظلم في بلدنا بنجواس لأن بها ملكا ظالما جاحدا آكلا بالباطل.. لقد لجأت لتلك الحيلة ليعيش الطفل بسلام.. وقد علمت أن في بلادكم سماحة وأخلاق راقية... اعتبروا أن ابني ضيف عندكم وقد عملت من سمعتكم الطيبة ما أكرمكم فنعم الشعب انتم.. اخبر ابني كل مايكبر أنني وأمه فقدنا حياتنا قبل أن نمت علي فراقه ولم يكن لدينا سبيل غير ذلك للهروب وكم أرجو أن نصل أنا وزوجتي اليكم لنتحد في شعبكم الراقي... كلمتي الأخيرة رفقا بطفل فقد أبويه وهم أحياء.. "... كل الوصية صحيحة تماما باستثناء أن الكلمة الأخيرة أن الطفل فعلا فقد أبويه وهما أحياء وهم أموات أيضا!... وهذا ما لم يعلمه الشيخ الفاضل لكنه يشعر به....

يشفق الشيخ ويذرف دمعا مما قرأ ومن دون معرفة مدي ظلم الملك السبب في كل هذا.. ادرك كم فجوره!..يطبق الحاج اسماعيل الوصية بعدما حفظها في قلبه لأنه رجل من الرجال المخلصين للحق والمائلين للعدل دوما... كان الله في عون كل من شارك في انقاذ الطفل ومن سيشارك... وقد عاهد الشيخ ربه سرا أن يربي الطفل بأقصي جهده ليصير رجلا علي طريق الحق والنور ويصل لوالديه ليقبل رووسهما فهما أول من ضحي من أجله ويشك اسماعيل أن والديه أحياء فمايلبث أن يعرف الملك بفعلتهما الذكية إلا وجزاهما بالتعذيب القاتل... صدقت أيها الرجل الصادق...

يأخذ الشيخ الطفل ترميس بهدوء ويذهب به للبيت ويعرف زوجته وأبنائه بأمر الصغير الناجي.. فيقشعروا من مدي عظم قلوب الأباء علي الابناء.. فان المرء ليعطي قلبه لابنه ليعيش وان لم يمتلك غيره...

وكما أخذ الشيخ العهد علي نفسه بالرعاية الكاملة للطفل تتابعت أفراد أسرته بالاندماج مع عهده لأنهم صالحين أيضا ومن ظهر رجل قوي في الحق....

ينشأ ترميس علي أخلاق حميدة ورجولة واعدة وقلب المؤمن الصادق ولم يكن بالطفل العادي أبدا فقد كان ذكيا واعيا ماهرا لايقف أمامه عائق إلا واجتازه.. واشتغل بالتجارة بدءا من مال الشيخ حتي كبر رأس المال بالتعاون مع أبناء اسماعيل الذي لم يعتبروه يوما غريبا لهم بل كان الأخ الأذكي لهم والسند الكبير وسعدوا به كثيرا... وقد بلغ ترميس الرجل العشرين من عمره...

لقد تربي ترميس علي أنه سيذهب في يوما من الأيام إلي أرض بنجواس ليري والديه.. فقد علم بقصة تهريبه الغريبة وأيقن مدي حب أبويه له وكان يرجو دائما في كل صلاة أن يمكنه ربه من الذهاب لبلاده الأصلية ليقبل قدم ورأس والديه العزيزان.. وللحق لم يكن الملك مخطئا أبدا في أن الطفل ترميس سيكون له حظ عظيم من الذكاء متوارثه من والديه وهذا كان السبب الأول لانتزاعه من أحضان والديه..لكن هذا لايعني أن الملك ليس غبيا وجاحدا فهذا الاعتقاد من سبيل الصدف....

بيخلو ترميس بجوار شجرة في مرعي الشيخ متسائلا لنفسه عن حال أبيه وأمه الذي طال الحنين اليهما لكن لماذا لم يأتيا مثلما فكرا في هروبه الدهائي.. وكان آخر خاطرة عنهما هل مازلا أحيا أصلا؟!...فلقد سمع من قبل بعض المسافرين المترددين علي قرية راطشان عن عظم ظلم ذلك الملك الطاغي..وهذا مايرجح هلاك الوالدين منذ عشرين عاما عندما يعرف الملك أمرهما ويعاقبهما بظلم سحيق.. حقا إن القلوب تشعر ببعضها وتتجه إلي الحقيقة... وهذا ماجعل ترميس الشاب يبكي كلما تذكر والديه... لأنه لديه شعور قوي أنهما ماتا بالفعل.. وأصبح شغل تفكيره أن يعرف كيف يسافر إلي بنجواس ليتأكد اذا كان الوالدين أحياء أم لا واذا كان السبب في موتهما هو العذاب والقتل فلتكن حياة الملك ريتشارد هي الضريبة الأولي والأخيرة.. لذلك أفصح للشيخ اسماعيل عن مافي نفسه ورد عليه الشيخ قائلا"لقد كبرت يابني ووصلت لمرحلة من النضوج وريعان الشباب ومن حقك بعد كل هذه المدة أن تفعل ماحدثتني به.. لكن اعلم أن أمر ذاك الملك بالعسير فهو بطاش وساحق لكل من يعارضه.. لذلك تريث ثم تريث فيما ستفعله حتي تفعل الأنسب ولو غير ذلك ستهزم.."...

يرد ترميس قائلا "حسنا ساذهب كتاجر لاقتص عن حال البلدة وملكها.. وبالتأكيد لن يعرفني أحد هناك فلا داعي حتي للتنكر وانما سأغير اسمي فقط إلي (جايلمر) كما أني في حاجة للدهاء وقدرة تمثيلية خادعة كي لاينكشف أمري... "

يرد الشيخ قائلا" ونعم الكلام أيها الشاب الجميل.. "

لم يكن يطاوع ابدا الشيخ اسماعيل ترميس علي الذهاب الي بلدة بنجواس وهو صغير فكان الشاب دائم الالحاح عليه في ذلك الطلب لكن انتظار الشيخ لبلوغ الشاب العشرين أكد له أنه بكفاءة عالية ليحمي نفسه من الذلات والهلاك عندما يقرر الذهاب لبلاده ليري والديه ويرجو أن يكونا أحياء.. لكن يامسكين هما في البرزخ منذ عقدين!...

لم يكن ترميس مدعو باسمه الأصلي في راطشان وانما اشتهر بالمنسور نسبة لوصوله للبلاد المضيفة في مخالب نسر الذي يتمني جميع سكان البلدة علي تحيته لأن وجود المنسور بينهم كان سببا في رفعة البلدة والرخاء الاقتصادي فقد كان الشاب مفكرا وعبقريا لتنشيط حركة التجارة في البلدة الهندية...أحبك والديك ياترميس وأكرمك الغرباء الطيبين وكان الله ناصرك علي كل عدو مبين...

يستعد المنسور للرحلة الشاقة الطويلة الخطرة أيضا حيث أن المسافة بآلالاف الكيلومترات ناهيك عن السباع والذئاب وقطاع الطرق والمجرمين المشردين... لكن كل هذا باهت أمام الشاب الطموح لرؤية حبيبيه ماتشف وجولاما.. ليت ياسيد ترميس تمكنا والديك من الهروب اليك منذ هروبك من عشرين عاما في حقيبة معلقة في مخالب نسر زعيم مخلص طوال الرحلة الشاقة التي ستمشيها أنت وحيدا دونه.. أين أنت أيها النسر العظيم؟!.. لنرد لك الجميل جميعا.. فانت علي اعالي رووسنا.. عسي الله يازعيم أن يجعلك الله حاملا منقذا للأطفال ممن عجز الحب عن احتضانهم من بطش الظالمين أمثال ريتشارد الفاسق..

تهيأ المنسور وانهي الاستعداد لرحلة العودة مع مساعد يدعي "جليم" قد رشحه له الشيخ اسماعيل حيث أنه له خبرة كبيرة في السفر إلي الأراضي الأوروبية واعتاد علي ذلك...

يقبل المنسور رأس أبيه المربي اسماعيل تجاني قبلة تعادل العشرين عاما الذي رعاه فيها حق الرعاية فهذا جزء بسيط من العرفان بالجميل..كما وعد ترميس شيخه بأنه لن يتركه أبدا وسيظل يتردد عليه بعد أن يجد والديه في بنجواس فله من الذكريات الجميلة في راطشان وتعلق القلب كل التعلق بأهالها الطيبين ولم لا يأتي بوالديه ويقيما مع الشيخ في البلدة الهندية...فهذا في خاطره أيضا... يودع ترميس اخوته ابناء الشيخ فهم كانوا شركائه في طفولته وسند له في شبابه..

يودع المنسور الجميع بقلب كبير طموح طيب ويذهب مع المساعد جليم منطلقان نحو البلدة

الانجليزية ليجتازا كم هائل من الصحاري والغابات بما تحتويه من حيوانات مفترسة ومخاطر جما لكن المساعد جليم كان دائما سباقا بخطوات قبل أن تحصل أي كارثة أو يحيط أي خطر بالمنسور فنعم الرفيق في الطريق استمرا المسافران قرابة الثلاثة أشهر حتي بدأ في تكملة الطريق مشارف بلاد الانجليز حتي أصبح مايقرب الأسبوع علي دخول حدود بنجواس...يواصل المنسور وجليم ماتبقي من أواخر الرحلة إلا أن ظهرت أسوار البلدة المقصود وقتها تنفس ترميس بعض من الهواء القادم من ناحية المدينة لأنه يحاول استنشاق وتهيئة نفسه لمعرفة طبائع وحقيقة تلك البلدة ليرتدي رداء الدهاء والتمثيل الجيد ليعرف أمر والديه بالاضافة يري مالايجب ألايري ويسمع عنه وهو ريتشارد الملعون الذي آمل له شخصيا أن يكون مات بأبشع الأمراض..

يقف المنسور وجليم أمام بوابة الدخول الرئيسية ويسألهما الحرس مامقصدها وماذا يريدا؟... اخبرهم ترميس أنه تاجر مجوهرات من نوع نادر للغاية مستخرجة من شبه القارة الهندية وقد جاء لبلادهم لفتح سوق جديد له في أوروبا وأشهر البلدان بها مثل بنجواس... وبالفعل كان مع المنسور حقيبة بها مجموعة متميزة من المجوهرات والمصوغات متعددة الجمال والجاذبية... لذلك نظر الحراس إلي ترميس وجليم نظرة اعجاب وتقدير فهذا سيسعد الملك لتنشيط ثروته الطائلة.. وعندما سألوهما عن اسمهما اجاب ترميس قائلا"اسمي" جايلمر" وهذا مساعدي الهندي" مراغ"..."وهو الاسم الحركي الجديد لجليم... وسمح لهم بالدخول كزائرين مرحب بهما... حيث ينزلا في قصر الضيوف ذي المستوي الراقي تحت رعاية الملك.. يرتاح ترميس وجليم من تعب السفر بعد آلالاف الكيلومترات وناما نوما هنيئا بعيدا عن الخوف من السباع والذئاب واللصوص فهم في بلدة عامرة بالسكان... يستيقظ ترميس في اليوم التالي ويختفي التعب تماما من جسده لكن لايروق باله لأنه أصبح أكثر انشغالا وحماسة ليري والديه بأم عينيه..يخشي ترميس أن يقص قصة الطفل المنسور علي أي أحد في القصر فينكشف أمره ويعرف ماهو. بعد تحريات وتقصي دقيق فمن المعروف أن سلطات بنجواس مشهورة بالتحرياتها الدقيقة عن كل بلاد الانجليز.. للذلك يحذر من شدة حماسته كي لاتضيع خطته في الكشف عن والديه والمساعدة في تهريبهما..وبينما ترميس منصبا في حكمة أمره يطرق باب غرفته فيفتحه فيري ترميس رجلا يبلغ حوالي الستين من عمره في صورة بهية وهيبة تلقائية.. ويتحدث قائلا "صباح الخير ياتاجر السعادة.. علمت بأمرك أمس وتحمست لرؤيتك صباحا بعد أن ترتاح وصدقني أنت بالفعل تاجر سعادة بالمجوهرات والمصوغات من أهم مصانع السعادة للبشر جميعا.. فانها ثروة وقيمة وتفاخر.."

يرد المنسور قائلا"تحية طيبة لك أيها الرجل الكريم.. لكن من حضرتك؟!.. "..

يرد الرجل" أنا الملك شهيمن!.."..

يندهش ترميس ويرد" لكن كيف؟! "

يرد شيهمن" ماذا تقصد؟.. "

يرد المنسور" اقصد أليس الملك يدعي ريتشارد؟.. "

يرد الملك شيهمن قائلا" ريتشارد لم يعد ملكا منذ مايقرب الخمس سنوات انما أصبح صعلوكا مجنونا وهازيا...من كثرة سكره وغبائه الطبيعي.. وأصبحت أنا أحق بالملك منه وتوليت العرش وأصبح ريتشارد فقط منصبه شرفي ولايمت صلة بالحكم لأنه طبقا لقوانين الممالك الانجليزية لايحق تولي العرش إلا من أبناء العائلة الملكية التي منها ريتشارد لكن كما قولت صار مجنونا واتفقت معه علي توليتي للحكم شرط أن يظل ريتشارد ملكا صوريا وأنا الملك الفعلي لكن دون شوشرة والعائلة الملكة علي علم بذلك كما وعدتهم علي دفع ضرائب لخزانة المملكة الانجليزية العظمي أكثر مما كان يدفع ابنهم ريتشارد بأضعاف مضاعفة لذلك وافقوا بعقد يجدد كل خمس سنوات اذا رغبوا في ذلك.... وكما تري فقد أصلح حال البلدة كثيرا علي يدي وكنت ستتأكد لو كنت موجودا منذ ارتقائي للعرش.. "

يحاول ترميس تقليل اندهاشه ويرد"بالفعل أشعر بذلك فيبدو أن البلدة في الآونة الاخيرة. نشطت بها الحركة التجارية وإلا لما كنت سمعت بها وانا في بلاد الهند واتيت إلي هنا لازداد من تجارتي.. "

يرد شهيمن" حسنا... شكرا علي تفخيمك في.. وزادني الشرف لقدومك.. هلا نبدأ تعاوننا الاقتصادي وأري ماتحمله لي من مكاسب... "

يستمر الحديث بين الطرفين لمدة الساعتين يعرض فيها المنسور أفكاره التجارية وانشاء سوق كبير للمجوهرات الهندية في البلدة والكثير من الكلام المعسول الثمين كي يري الملك شهيمن مدي جدية المنسور وانه جاء فعلا لصفقات تجارية...ينتهي الحديث بسلام واتفق الطرفين علي عدة صفقات وذهب شيهمن للممارسة أمور السلطة الفعلية.. وحمد ترميس ربه أنه استطاع أن يصل فعلا لاقناع شهيمن بذلك الكلام فيبدو أنه ليس شخصا سهلا أبدا والدليل علي ذلك وصوله لحكم بلدة من عائلة ملكية كبيرة وهو ليس وريثا شرعيا ولاحتي أميرا ولا من العائلة أصلا..وهذا مايقلق المنسور فهذا الرجل لن يدعه بسلام اذا اكتشف أمره..

يحاول ترميس التفكير في الوصول إلي أشخاص مناسبين من سكان البلدة.. يعرف منهم حكاية(نفسه) أمر الطفل الذي أخذه نسر في عملية هروب عظيمة حدثت منذ عشرين عاما وبالتالي يسهل التعرف علي الوالدين..وكل أمله أن يكونا أحياء لكن رحمهما الله أيها المنسور اليتيم...

يخرج المنسور من غرفته ويتجول في ساحات الزوار بالقصر فاذ يجد رجل مسن جادا في عمله يقوم بتصليح عدد من هياكل العربات التي تجرها الأحصنة.. وبينما يطرق كل طرقة

يقول "أين انت؟!... أين انت ياحبيب الحق؟!.."ولاينطق اسم من يدعوه فيكتفي فقط بتلك الجمل الغامضة القصيرة كأنه من الدروايش اللذين يهزون بكلام لامعني له إلا بالنسبة لهم..وهذا مااعتقده المنسور فربما هذا العجوز طال به العمر في عمله ولم يلق من الجزاء الحسن في هذه البلدة ذات الحكام الظلمة المتتابعين...لذلك اكتسب جزء من الجنون والدروشة ليهون عليه حاله..

انصرف المنسور من جانب العجوز باحثا عن شخص يوحي فعلا أنه يعرف شيئا عن قصته.. لكنه قال في نفسه لو سألت أى شخص عاقل فاحتمال كبير أن يكشف سره ومصيره معروف.. فماذا تنتظر من أهل السلطة الفاجرين؟!...

لذلك قرر المنسور أن يرجع للعجوز ويستشف من هزيانه بعض المعلومات الطائشة لعله يصل لمعرفة القصة..

يقف المنسور أمام العجوز ويتحدث اليه"مرحبا أيها الشيخ الطيب.."

يرد العجوز بكل عقلانية "مرحبا بني..."

يستكمل المنسور قائلا"اريد أن أسألك عن شئ.."

يرد العجوز "تفضل بكل تأكيد..لكن أولا يبدو من هيئتك أنك لست من بلدتتنا.. من أين انت؟!.."

يرد المنسور "انا من بلاد الهند..واسمي جايلمر.. تاجر مجوهرات أتيت إلي بلادكم للاستثمار.."

يرد العجوز "ألف مرحبا بك شرفتنا بقدومك.. ماذا تريد أيها الشاب التاجر.."

بدأ يشعر المنسور أن العجوز في غاية العقلانية وهذه ليست صفات أصحاب الهزيان والدروشة لكن لعلها دروشة جديدة بنكهة عقلانية.. يستكمل المنسور قائلا" بجانب أني أحب عملي فانا أعشق الحكايات الواقعية من مختلف الثقافات والأماكن.. فهلا تحكي لي عن أغرب ماسمعت أو رأيت في بلدتكم العامرة.."

يبتسم العجوز ويرد "جئت في وقتك أيها التاجر.. سأقص عليك قصة بألف قصة مماسمعت.. وهي قصة الطفل المنسور لكن أرجوك لاتبوح بها طالما مازلت في بلدتنا لأنها قصة محرمة من قبل السلطات.".. ارتجف المنسور(ترميس) وكأن الشيخ يعرف مقصده مباشرة والأهم والأخطر أن يكون كشف أمره لكنه تماسك وأعطي اهتمام أكبر قائلا" زدني بحكايتك...أيها الشيخ الطيب.".. يسرد العجوز الحكاية كماسمع ورأي وصولا لما أسقط قلب المنسور في جوفه وهي أن الوالدين قتلا بأبشع الطرق.. هناك لم يمسك المنسور نفسه وبكي بغزاره كأنه يعيش مع أبويه منذ ولد وفقدهما فجأة.. يلاحظ العجوز مدي تأثر التاجر الشاب بالقصة لذلك حدثه قائلا" نفسيتك طيبة أيها الشاب والنور يشع من وجهك فبكائك هذا يدل علي صدق انسانيتك وأني أعلم أنك مع الحق.. فقط انه شعور تعرفه الأنفس الصادقة.. أكرمك الله" ثم يبكي الشيخ بغزاره قائلا "لقد حرق قلبي علي ماتشف وجولاما ولم يعرف حزنا ولافظاعة

أشد مما حدث منذ عشرين عاما وأعتقد لن يعرف مستقبلا.. "...ثم يسأله المنسور أكثر عن والديه لتشتعل نار الشوق أكثر لرؤيتهما.. فهما لؤلؤتين لم يراهما أبدا في تجارته.. وهما الكنز المفقود الذي لن يعثر عليه أبدا سوي بالعيش علي ذكريات منه.. كلما يسمع المنسور أكثر من العجوز عن ماتشف وجولاما زاد اعجابه بهما وبذكائهما وبلطفهما ولم يشبع بعد من السيرة الطيبة...ثم يستكمل العجوز قائلا"كان أملي دائما أن يصل ترميس إلي الأرض الطيب أهلها ويكبر ويعرف قصة والديه..وكنت أود لو اقابله واخبره عن مدي عظم قلب الأبوين الرحيمين وأولا ليأخذ بثأره من ريتشارد وأعوانه الظالمين..".. يرتجف المنسور فهو يشك **أن العجوز قد عرفه لكنه يظهر الدهشة والاعجاب بالكلام كأنه لايعرف شيئا ومنجذب للحديث الشيق..يرد المنسور قائلا"لقد ارتحت لك كثيرا أيها الشيخ الطيب وإن لي سر سيسعدك كثيرا.. إن عرفته فقط عدني أن يبق الأمر سرا بيني وبينك إلي أجل مسمي كما أنني أعدك ألا أبوح بقصة المنسور لأحد في هذه البلدة.. "**

يرد العجوز قائلا"لقد جئت فيما أريد أيضا.. أعدك بحفاظ سرك... كما أن لي أيضا سرا استحلفك بربك أن تصونه.."

يضحك الاثنان من سبيل الراحة النفسية تجاه بعضهما.. ويستكمل المنسور قائلا" حسنا ساخبرك...لكن أولا اردت أن اشكرك علي طيبة قلبك وحبك للحق وأنك انسان جميل لتؤيد قصة الطفل المنسور وتلعن الظالمين أمثال الملك المعزول ريتشارد.. الذي لايسمع اسمه إلا ويراد الفتك به.."

ثم يبلع المنسور ريقه بحظر ويتحدث بصوت هامس"أنا ترميس.. ياشيخي.."

يشهق العجوز في رعشة وترتجف عيناه ويدخل فى صدمة لثواني بعدما توقف عن الكلام وأصبح في حالة ذهول بجنون.. ثم ينفك فمه قائلا" أأنت تمزح؟! ... هل حقا أنت ترميس الذي حير كل من سمع قصته وحيا والديه البطلان.. أمعقول ياربي أنا اري من حمله النسر حيا شابا جميلا أمامي؟! .." ثم يستكمل قائلا "بالفعل إنها ارادة مالك الحق..فاقسم بربي أن كل ماحدث كانت بطولة مطلقة.. ولم تنتهي بعد..".. أين الدروشة اذا في هذا الشيخ العاقل **المتألق في الحديث؟!...ثم يجد العجوز في حديثه قائلا"**

سرك محفوظ معي ياترميس.. وانصحك بشدة ألا تخبر أحدا غيري بحقيقتك..فكل ماحدث لوالديك ولك كان من الظلم والبطش والطغيان.. فأمن تسلم.. ".. يرد ترميس(المنسور)" اعلم أيها الطيب مقصدك واني واعي لذلك فماسمعت عن هذه البلدة إلا ولها أيادي الحكومة الفاسدة.. "..

ويستكمل العجوز قائلا" حسنا جميل... وكما آمنت لي علي سرك فأن لي سرا عليك أن تعرفه... انا كامن!.. ".. ثم يحكي له العجوز(كامن).. ماقام به من خطة مع ماتشف وجولاما وزوجته ليليا لتهريبه مع النسر..

إنه كامن الرجل المخلص قديما وحديثا فهذه صفات النبلاء المؤمنين بالعدالة والحقوق.. طيب الله خاطرك ومقدارك عنده أيها الانسان الجليل...يستمر الحديث بين الطرفين لكن ينصحه

كامن بأن لاداعي للكلام أمام المارة أكثر من ذلك كي لايشك فيه أحد خصوصا أن شهيمن لو رآه لن يمر الأمر عليه بسهولة وسيتفقد اللغز...واتفق معه أن يقابله سرا في بيت قديم في ناحية بعيدة إلي حد ما عن التوترات والمراقبة المستمرة للتفكير مستقبلا كيف سينتقم ترميس الشاب المنسور من البطاشين وأولهم ريتشارد المجنون الذي مازال حيا لاهيا كالأطفال..

تمر أربعة أيام يتم فيها عقد صفقات تجارية استثمارية بين ترميس وشهيمن كأمر عادي لسبب الزيارة ومن ناحية أخري أعتاد ترميس علي لقاء كامن سرا في عدد أماكن في الخفاء محاولين التوصل لخطة للتخلص من أهل الحكم للبلدة بأي طريقة مناسبة..طمعا في الانتقام للوالدين ومنح الحرية والحقوق الآدمية لشعب بنجواس الذي ذاق مافاض من الآلام والجروح المادية والنفسية...

بقي خمسة أيام وتنتهي الضيافة الرسمية للمنسور في قصر شهيمن حيث قد تم الاتفاق علي الصفقات التجارية بالكامل.. وهنا يبدأ تنفيذ خطة ترميس مع كامن أملا في الخلاص من شهيمن وريتشارد وبقية الأعوان...حيث يخبر ترميس شهيمن بأنه يريد تزيين القصر بالعديد من المجوهرات والاحجار الكريمة النادرة كتذكار ولتكون حفلة كبري يحضرها جميع الشعب لتدعيم البعد التعاوني بينهم.. فرحب شهيمن بالفكرة لأنه طماع..فلماذا لايبيع تلك المجوهرات ويحصل علي تمويل منها بعد أن يتركه التاجر الواعد؟!...

تتكاثر أحاديت الناس في البلدة وتتعالي عن تلك الحفلة الكبري التي سيقيمها التاجر الشاب جايلمر.. فلم يذق الشعب حلاوة الفرحة منذ أعوام لعل تكن النفسية سعيدة ولو لمرة لكن حقيقة يعكر صفوها النفس العكرة من الحكومة التي اعتاد الشعب عليها... فلافرحة بلا حساب ثقيل عليهم...

يستعد الجميع صالحين وفاسدين للحفلة الكبري المبهوم منها الكثير فكل مايعرف عنها أنها حفلة توثيق تعارف بين تاجر واعد وملك بطاش آكل محبا للمال جما..

يكثف المنسور لقاءاته الأخيرة بكامن والاثنان متخفيان بزي كثير ملتف حولهما من دواعي التنكر واخفاء الهوية..وعلي الرغم من السرية التامة التي يتقنها ترميس مع العجوز إلا أن بالصدفة في مكان اللقاء الأخير قبل الحفلة بيومين كان يوجد ثلاثة من الشباب الماجنين الطائشين اللذين تتوافق معهم ظروف البلدة الفاسدة لأنهم علي باطل..

يلمح أحد الشباب في وسط الظلام شبه دامس شخصين(المنسور والعجوز) بملابس تخفي ملامح وجههما والكثير من ملامح جسدهما..فيخبر رفقته بالاختباء والتجسس علي الرجلان فما كان يحدث هذا اللقاء في هذا المكان المقطوع إلا ولسبب عظيم.. لذلك نصح أحدهم أن يعرفوا أسباب هذا اللقاء خلسة لعلهم يعرفوا معلومة يكبروا بها عن الملك شهيمن.. فياسعادة من نال رضاه خصوصا في مثل هذه الأمور...

يفهم الشباب من خلال الحديث بين الشخصين أنهما علي استعداد نهائي لتنفيذ خطة قتل شهيمن ومعاونيه.. كما سمعوا كلمة(المنسور) .. و(حق الوالدين) من ضمن الكلام المتطاير..

يعقل الشباب الأمر جيدا لكن ليس لمصلحة المنسور والعجوز بل للوشاية بهما عند صاحب أمرهم الكبير شهيمن المحظوظ أن يتجسس الشباب لأجله بلا حتي تكليف منه.. فالصدفة مازالت في صفه حتي الآن..

يذهب المنسور إلي القصر مجددا مكان ضيافته وكامن يذهب لبيته المتواضع..آملان في أن يكونا قد احكما خطة الخلاص من أهل الحكم الفاسدين..لعل الأمور تتغير في صالحهما...

وفي نفس الليلة يذهب الثلاثة شبان الماكرين إلي قصر شهيمن فورا طالبين رؤيته في الحال فالأمر لايحتمل التأجيل وبعض الالحاح المبالغ اخبر كبير الحرس شهيمن بأن هناك ثلاثة من الرعاع يريدون مقابلة سيادته عاجلا في أمر يخصه جدا.. وكان شهيمن ذاهبا ليلهو برغباته الدنيئة مع نساء فاجرات.. لكنه أوقف الشهوة مقابل أن يعرف ماهذا الأمر الضروري فسمح علي الفور بحضور الثلاثة شبان إليه..

يحضر الماكرين إلي غرفة شهيمن ويخبروه بأمر الرجلين المتخفيان بزي كثيف وأنهما قد خططا لقتله.. كما ذكروا كلمتي (المنسور).. (حق الوالدين).. يسمع شهيمن في انصات تام ويرتبك كل مدي خصوصا ماقيل من الكلمتين فهذا مايخيفه أكثر من مسألة التخطيط لقتله.. فمن هذان الرجلين بالتحديد وكيف يفكرا في التجرأ علي قتله..وبدا شهيمن حائرا سارحا بكل فكره في تلك القضية حتي أن الشباب الساذجين ظنوا أنه سيعطيهم مكافأة فورية وهو في غاية السعادة لأنهم أدلوا له بمعلومات تحميه من القتل.. لكنهم أدركوا بحساسية مدي غلظة وغضب شهيمن الأشد من ريتشارد الملك المجنون السابق لذلك انصرفوا بهدوء وصمت!.. وبدون مكافأة.. فأي أموال أو عطايا سوف يأخذوها من فم الأسد(شهيمن)..!

يأمر شهيمن كل مساعديه بالانصراف والتشديد بالحراسة علي كل مكان بالقصر وكل ماينزل إليه في البلدة.. لأن الوضع خطير ومبهم لحد كبير...ثم يخلو بنفسه محاولا بتفكيره الناقد فائق التحليل كما فعلها سابقا عندما أراد الكيد بماتشف وجولاما وكشف أمرهما وقتلا علي الملأ فلولا فكرته الماكرة لما وقع الزوجان بالفخ وكشف أمر طفلهما الذي هرب مع نسر مهاجر...وكلما تذكر هذا الأمر تهون عليه مشاكله ويعطي قدر كبير للثقة بنفسه وأنه قادر علي صناعة المعجزات مهما كانت فهو الرجل العبقري الذي صار ملكا وليس من أسرة حاكمة وإنما من أهل الدهاء والفكر العالي الذي أوصله لأعلي المراتب...لذلك كان واثقا أنه الليلة بالتحديد سيكشف من هذين الرجلين المردين لقتله..ويتعمق أكثر في كلمتي (المنسور).. و(حق الوالدين)..فأما الأولي فغريبة قليلا وأما الثانية فسمعها تتردد علي ألسنة عدد كبير من أهل البلدة منذ زمن ممادفعه لتعذيبهم واصدار فرمانا بعدم ذكر حادثة ماتشف وجولاما للأبد وإلا بئس المصير والموت عاريا...لكن من الذي تجرأ مجددا علي ذكر تلك الكلمة فمن قالها احتمال كبير أنه يقصد ماتشف وجولاما.. ثم يحاول تفسير كلمة المنسور..فهذا اللغز الأعمق..لكن ليس في ذاكرته غير ترميس الذي حمله النسر فاحتمال كبير أن يكون الرجلين يقصدون هذا الطفل لأنه حادثة فريدة فمن سيتعلق أمره بالنسر غيره..

توصل شهيمن حتي الآن أن الموضوع يتعلق بالثأر منه لأنه كان طرف وسبب رئيسى في قتل الزوجين ماتشف وجولاما وهذان الرجلين المتخفيين يريدان النيل منه لذلك.. لكن

مامصلحتهما؟! ولماذا فهل هما من دعاة الحق وتأثرا بقصة الوالدين والطفل؟ ولماذا تم التفكير حاليا في هذا الأمر فلقد مضي حوالي عشرين عاما علي الحادثة.. فلماذا الثأر الآن؟!...لو يعلم فقط من الرجلين لكشف الأمر كله ونالا مايستحقا... لكن كيف؟!...

يعقد شهيمن اجتماع عاجل في منتصف الليل مع خبراء الأمن والحراسة لينبههم بدسيسة الرجلين ويأمر فورا بالبحث عنهما بأي دليل لأن اذا كان هناك خطر عليه فهم أيضا في خطر.. وأثناء استشارة شهيمن لرجاله محاولا تخمين من يكون الرجلين.. رد أحدهم قائلا "أود اخبارك بشئ هام ياسيدي يتعلق بالتاجر جايلمر.. لقد لاحظت في الآونة الأخيرة أن ذلك الشاب يترك غرفته كثيرا في أوقات مختلفة وكلما حاولت تتبعه يختفي مني كأنه لم يكن وأراه بعدها يأتي حاملا بمشتريات من السوق مرة وتارة أخري يكن في ساحة النزهة وسط البلدة ومرات أخري في أماكن عديدة.. أقصد أنه يغير اتجاه عودته كل مرة.. وأشعر بريبة كبيرة في هذا الأمر.. ".. ينذهل شهيمن لدقيقة ويرد قائلا" اذا فاللغز يبدأ فكه من هذا التاجر.. فانا أشك فيه منذ مجئيه لنا واذا ثبت أنه له علاقة بهذين الرجلين أو حتي أحدهما فستكون القاضية عليه..لذلك راقبوا التاجر بأكثر دقة وتخفي كي لايشك في شئ حتي نري الحقيقة كاملة.. ".."

ينتهي الاجتماع ويغادر الجميع آملين في نيل رضا كبيرهم شهيمن فان زال زالوا معه فهو رأس السلطة وهم الذيل فلو قطعت الرأس مات الذيل أيضا.. اذا برغبتهم أولا لابد من تأمين شهيمن والحفاظ علي حياته..

يذهب الليل علي خوف وترقب ويحل الصباح ويذهب شهيمن إلي غرفة التاجر جايلمر فيطرق الباب ويدخل شهيمن ناظرا إلي التاجر بنظرات محدقة مربكة ويظهر التاجر بروده وثباته الانفعالي علي الرغم أن كلا من الاثنين يشك كلا منهما في الآخر بدرجة قد تصل إلي اليقين...ثم يبدأ شهيمن بالتحدث قائلا"كيف الحال أيها الشاب الواعد؟.."

يرد التاجر"بخير أيها الملك الموقر.."

يبتسم شهيمن في سخرية ويرد"آمل أن أكون موقرا بالفعل كما يقول الناس...لكن أعذرني لي عليك معرفة لماذا تتآمر علي أنت وصديقك طوال مجئيك إلي هنا وبالأخص ليلة أمس.. لاتخبأ علي شئ فانا أعرف الخطة كلها"..

يضطرب التاجر المنسور لكن تتماسك ملامحه ولسانه ويرد قائلا" ما كل هذه الاتهامات... لما كل هذا.. انا لااعرف أي شئ عما تقول... هذا ليس من كرم الضيافة أيها الملك المحترم.. أتيت إلي هنا لصالحي وصالحك في الاستثمار.. "

ثم يظهر التاجر انفعالا بغضب قائلا" اذا كنت تريد أن اترك البلدة والغي الصفقات وبالمرة يلغي الحفل.. فهذا موجود ويمكن أن ينفذ في الحال.. "

يقل الشك شيئا قليلا عند شهيمن الذي أراد أن يفعل مكرا آخر لكشف حقيقة جايلمر ومدي ارتباطه بخطة قتله.. فصحيح أن شهيمن منذ عشرين عاما استخدم مثل القدرة المكرية علي المسكينين ماتشف وجولاما مماوصلهما للاعتراف تحت ذلة لسان وبدون

قصد بأمر النسر وتهريب الطفل.. ونفس المكر نفذ علي المنسور نفسه لم يفلح فيبدو أن ماانخدع فيه الوالدين حصن منه ترميس الداهية....

ويستمر شهيمن في المكر العميق ويرد قائلا علي كلام التاجر قائلا "أنا في غاية الآسف أيها التاجر الجميل فانا لم اقصد تجريحك أو توجيه أي اهانة أو سوء نية لكن أنت تعلم جيدا مقدار قلقي وخوفي علي شعبي وعلي أهلي وفي الآخر نفسي.. فما سمعته ليس بالهين فانا معرض للقتل في أي لحظة..ألا يكفي ذلك أن أشك في كل من حولي ولا اقصدك انت بالتحديد فلأنني ملك فيوجد كثير من الحاقدين والأعداء يريدون رأسي علي طبق في العشاء.. ارجوك اعذرني وسامحني علي كلامي.. فقد تبين لي خطئي... عفوا.. "

يتظاهر التاجر بالهدوء الانفعالي كأنه كان غاضبا أصلا ويرد" حسنا.. لابأس.. دعنا نكمل مسيرة صفقاتنا ونتحلي بالثقة في بعضنا البعض فلقد أوشك الحفل الكبير علي الحدوث..وانا علي الاستعداد تام لاتطوع مع فريق المحققين في التوصل لهذين الرجلين اللذين يريدان قتلك.."..

يرد شهيمن بتحديق "لاعليك.. فريقي قوي وسيصل للنتيجة سريعا ومتكاملا.. "

ثم يبتسم شهيمن ابتسامة باهتة ويستكمل قائلا" لاعليك... أكمل يومك الجميل ودمت سعيدا.. وأخيرا أكرر اعتذاري اليك.. "... ثم ينصرف شهيمن حائرا من أمر جايلمر..لكن عقله لن يدعه حتي يرتاح بمعرفة مدي ارتباط التاجر الشاب بالخطة المعادية له.. وما حقيقة جايلمر من الأساس..؟!...

ومن الجانب الآخر يدرك المنسور أن الملك شهيمن قد أوشك تماما علي ادراك حقيقته لذلك يجب اتخاذ تدابير اضافية تتواكب مع هذا الادراك الذي أصبح بالأمر الخطير فهذه البلدة الانجليزية تتمتع بجهاز استخباراتي فائق لقمع أي احتجاجات أو أطراف معادية ولو كانت مع الحق مثلما يحدث دائما.. لكن المشكلة الأولي حاليا هو كيف سيتم التواصل مع الشيخ كامن الذي هو في خطر أيضا اذا كشف أمره.. ولم يتبق سوي يوم واحد علي الاحتفال أي موعد تنفيذ خطة قتل شهيمن وأعوانه...الأعين والجواسيس فعلا تترقب خروج جايلمر لاثبات حقيقة شخصيته...يقرر جايلمر الانتظار قليلا حتي يفكر كيف يخرج ليقابل كامن للتنسيق الأخير للخطة...

شهيمن يقف علي السقف الأخير للقصر ينظر للبلدة بعمق كأن لحظة الحساب اقتربت لكن هذا القلب أصلا لايعرف طريقا لتأنيب الضمير.. اذ انها لحظة الخوف والترقب من أفعال غير مت أعان وقعة إن صح التعبير فهو خوف من أشياء قد تزيل السلطة التي امتدت جذورها ونمت من رقبة الشعب حتي كاد يموت أجمع اختناقا من قلة الهواء والحرية المشروعة.. هذه سلطة الله من كانت عليه...اذا مالذي تنوي فعله ياشهيمن؟!...

الحراس يراقبون القصر بحذر شديد بقوة أكبر من ذي قبل فلقد هانت الرقاب للموت بخطة غير معلوم منفذوها..وتنظر عين طيبة من بعيد علي القصر من إحدي الزوايا المزدحمة بالبشر من كل جهة كي تتوارى من أعين الحراس والتمييز.. إنه كامن العجوز الطيب الذي

استأخر مجئ ابن حبيبه وحبيبه المنسور حيث كانت هناك تدابير أخيرة لاكتمال ملامح خطة التحرير والخلاص من أهل الظلم...ومن الوعي العالي أحس العجوز بأن شهيمن انتبه للتاجر وهناك قيود جعلت المنسور يتأخر حرصا علي عدم كشف السرية..لكن لاتوجد مشكلة في التواصل علي الرغم من كل ذلك حيث أن كامن يربي الكثير من القطط في باحة القصر لكنها ليست عادية بل انها ذكية ومدربة علي نقل رسائل حيث أن فمها موضوع به هيكل يشبه قطعة من السمك بداخله الرسالة الورقية وهذا من شدة التضيق والقمع الاستخباراتي من قبل السلطة مما أدي إلي تولد مثل تلك الأفكار الذكية من بعض أذكياء الشعب... وقد أخبر كامن المنسور سابقا بأمر هذه القطط التي ستستخدم عند الحاجة مثل الآن.. وبدأ يتراسل الاثنان بطريقة خفية ولم يلاحظ الحراس الكثر الأشداء الأمر... فنعم التمويه الذكي... وتوصل المنسور وكامن إلي ختام خطة التحرير غداَ...

وليكسر التاجر المنسور شكوك شهيمن خرج من باب الغرفة وتوجه إلي ماكان يتوجه إليه كالمعتاد وهي ساحة النزهة العامة حتي يلمح للحراس وجواسيس الملك أن ظنونهم خاطئة...وبالنسبة لشهيمن فهو داخل علي مرحلة الانهيار النفسي لأنه لم يتمكن حتي الآن من كشف الرجلين اللذين يخططان لقتله.. فان لم يكن التاجر جايلمر واحد منهما فمن هما الرجلين بالأساس...والأمر الأكثر تعقيدا مالذي يجب أن يفعله شهيمن مع التاجر الآن هل يطرده من البلدة بلا أذي... أم يظل يستقص ورائه حتي يأتي بخبر يقين.. وهناك أفعال أخري شيطانية قد يفعلها الملك النصاب لكنه يخشي إن ألحق أي أذي بالتاجر الشاب حيث أنه من بلدة هندية ذات قوي كبيرة قد يتسبب الأمر في حرب طاحنة والخاسر فيها بنجواس الانجليزية فصحيح أن شعبها مقهور لكن أهل السلطة أنفسهم مقهورين ولا يستطيعوا مشاغبة أي بلدان الأخري حتي وإن كانت ضعيفة ذلك لأنهم أهل سكر وفجور وضعف ولايقدرون إلا علي ذويهم شعبهم المسكين!..ألا يتحقق الحلم الأكبر ويذهب أهل السلطة ببنجواس بلارجعة؟!.. فلتفتح أبواب الجحيم عليهم!...

الوقت ضيق ولم يتبقي سوي ساعات ويبدأ الاحتفال غدا وشهيمن تقريبا أول مرة يظل حائرا في تفكير طويل مثل هذا... فشوكة التاجر الشاب قوية حتي الآن ولم يستطع اثبات أي تهمة عليه وعلي النقيض المنسور في أتم الاستعداد بالتنسيق مع كامن لخطة الخلاص الكبري..

يجلس شهيمن حزينا مكسورا حتي جاء احد الحراس واخبره بأن هناك قافلة تجارية هندية للاحجار الكريمة تريد الضيافة عندنا ليومين حيث أنهم كانوا في رحلة طويلة من الهند إلي غرب أوروبا وهم عائدين متجهين إلي الهند مجددا فارادوا المكوث معنا للاستراحة ودفع ثمنها...ويلمح له الحارس قائلا "يبدو أن لديهم أموال وثروات طائلة... لما لاتستفيد منهم وتطلب ماتشاء؟!...."....

كل هذا الكلام وشهيمن لم يركز إلا في في كلمة (قافلة هندية)... ألا تفهم معني هذا الكلام؟!.. المراد أن هذا مفتاح لغز جايلمر فسيسأل عنه أهل تلك القافلة ويعرف حقيقته.. لذلك أخبر حارسه علي الفور بقبول ضيافتهم وأن يعاملوا أفضل معاملة حتي يشقط منهم المعلومة الذهبية...

ينهض شهيمن من أريكته ذات الفرش الحريري وغرفته التي هي قطعة من جنة الدنيا فالأهم والاغني بالنسبة له هناك عند القافلة الهندية...

يستقبل شهيمن وفد القافلة بترحاب مبالغ فيه أشبه بالمجانين حيث يحدثهم "تفضلوا يأهل الكرم والنجاة.. تفضلوا وانتم المنجي الأخير... طبتم طبتم أيها الجمال... ماأحلاكم... انتم ملوك في أنفسكم.." وكلام مثل هذا القبيل فلقد أوشك علي تقبيل قدمهم ليخبروه بشئ ينجيه من الموت الذي يحل عليه غدا إن شاء الله...

لم يلبث الهنود أن يرتاحوا حتي بدأ الملك شهيمن بالحديث معهم عن أحوالهم وسريعا يسألهم هل تعرفون التاجر جايلمر أنه يختص بالمجوهرات مثلكم وشخصية يبدو أنها شهيرة عندكم!... يصمت القوم فهم يعرفون المنسور باسمه ترميس وليس جايلمر.. لذلك طلبوا من شهيمن وصفه لهم بملامح أدق حتي علموا أنه المنسور وكان من عادة هؤلاء الهنود ألا يبحوا بأسمائهم الحقيقة خصوصا عندما يذهبون لمكان جديد للتجارة فيه بطش وظلم مثل بنجواس كنوع من الحماية وإخفاء الهوية منعا لسرقتهم أو التجسس عليهم في رحلاتهم لذلك أدرك أصحاب القافلة الهندية أن هذا من مراد المنسور أن يغير اسمه لجايلمر... وبعد الوصف الدقيق لجايلمر من قبل شهيمن الذي مازال في ملح عليهم في السؤال... يرد أحدهم قائلا"هل تقصد ذلك الشاب الذكي صاحب البيع الكثير والمكسب الكبير.. إنه بالحق أفضل تاجر هندي عندنا.."..

ثم يتحدث آخر قائلا "لكن ماشأنك به... هل تعاملت معه سابقا؟!.. إنه رجل شريف وماعهدنا عليه الغش أبدا"...

يرد شهيمن مبتسما "لا إنه فعلا شاب طيب وطموح فلقد قابلته واستضافته في بلدتي منذ شهر وقد عقدت معه صفقات متنوعة ذات رأس مال ضخم.. أردت فقط أن أعرف سر نجاح ذلك الشاب الفتي.."..

يرد أحد القوم بحماس" انه له قصة عجيبة حدثت له منذ أن كان طفلا رضيعا!... "... ينتفض شهيمن بانتباه لاستماع القصة ولحسن النية لم يقصد هذا الشخص الهندي كشف حقيقة المنسور للفتك به إنما علي سبيل التشويق وقصة أعجوبته... لكن لحقه في الكلام كبير القوم المدعو كرمان محمحما قائلا" لاعليك أنها قصة حزينة.. فلقد كانت أمه بائعة في سوق بلدتنا وكانت حامل فيه ثم ضربها ثور عملاق وشق بطنها بقرونه والغريب أن جايلمر كان حيا وأسرعت حكيمة القرية بانقاذه.. وماتت الأم المسكينة.. وبعدها بيومين توفي والده حيث كان طاعنا في السن ولم يطيق موت زوجته حبيبته وكان جايلمر أول طفلا لهما... وتولي تربيته رجل صالح ثري من قريتنا وشب جايلمر علي ذكاء ونباهة عالية جدا أكرمه الله بها... "

وأشار كرمان بطريقة معينه إلي قومه ألا يعلق أحدا علي كلامه حيث رفع عينيه محدقا في السقف وهذا من طبيعة هؤلاء القوم اذا أراد كبيرهم أن يتكلم ولايضع أحدهم كلاما اضافيا ذلك عندما يكون الأمر هام وسري... وبالتأكيد هذه ليست القصة الحقيقية لجايلمر (المنسور) وكبير القوم والقوم أنفسهم يعرفون الحقيقة لكن الظرف ليس مناسبا لقولها...فلعلة ذكية لم يفصح كرمان كبير القوم عن الافصاح بالحقيقة حيث لاحظ الانتباه الشديد والتلهف من قبل

الملك شهيمن عن السؤال المباشر الواضح عن جايلمر خصوصا أن هذه البلدة (بنجواس) هي التي جاء منها الشاب جايلمر محمولا مع نسر من شدة البطش والظلم كما كتب المسكين ماتشف في الرسالة التي وجدها الشيخ اسماعيل تجاني... فاحتمال كبير أن يكون شهيمن يريد التأكد من أمر ذلك الشاب أن يكون هو الطفل المنسور منذ عشرين عاما...فممكن أن يقتله اذا تأكد..لأنه سيخيل اليه أنه جاء للثأر لوالديه البطلين.. وهذا منطقي جدا ونظرية سليمة من قبل الزعيم كرمان الفطن...

ويزداد قلق شهيمن أكثر بعدما سمع قصة جايلمر لأن تشتيته أصبح أكثر وحيرته أكبر فحتي الآن لاتوجد علاقة لجايلمر موثوقة ليقتل شهيمن وإن كان كذلك فلماذا يريد قتله هل يريد مثلا أن يمسك زمام السلطة كما حصل شهيمن النصاب عليها وهو ليس من العائلة الانحليزية الحاكمة أم ماذا ولماذا ياتري؟!... شهيمن يشعر أنه أصبح كهلا كبيرا ليس في الجسد وانما في العقل فكيف لهذا الرجل الذي يعتبر نفسه أذكي شخص في البلدة يقف أمام مسألة قتله حائرا التي أوشكت علي الحدوث اذا لم يكتشف الحقيقة..

مايجب فعله الآن هو أن يبعد شهيمن مابين جايلمر والقافلة الهندية حرصا علي عدم كشف أى مكر أو دهاء وربما قتل جايلمر سرا كي لاتنتقل أي أخبار إلي قوم جايلمر عن طريق الهنود اذا تم إلحاق أي أذي به أو القتل حيث لو اضطر شهيمن لذلك الخيار الأخير....

حيث بدي أكثر ميلا اليه وتجرأ أكثر بعدما كان مترددا في البداية خوفا من شن حرب علي مملكته.. حيث أن مسألة انقاذ روحه الاولوية الأولي حتي وإن حدثت حرب وخسر فسينجو بما جمعه من أموال وكنوز ومن شقاء الشعب إلي أي أرض تطيب له وتناسبه أو ربما يزور في قصة قتل جايلمر ويدعي أنه قتل في الطريق في أثناء عودته إلي دياره.. لذلك كان ذكيا أن يقول للهنود أنه استضاف جايلمر منذ شهر وذهب عائدا إلي دياره بعد عقد صفقات اقتصادية كبيرة...

لايريد شهيمن التثقيل أكثر علي الهنود كي لايشكوا به لذلك تركهم قليلا مع أنفسهم حتي يفكر في تلك الساعات الأخير بطريقة اعجازية لاحباط عملية قتله والتي ستبدأ بالحقيقة الكاملة لجايلمر الغامض...

يستقص شهيمن آخر أخبار جواسيسه عن جايلمر.. هل فعل شئ مثير للجدل هل هناك شكوك في تحركاته الأخيرة.. والاجابة كانت لا.. فاذا كان شهيمن داهية فالمنسور(جايلمر) من كبار الداهية...لذلك لم يكشف حتي الآن..

يحل الليل ويذهب الهنود لغرف النوم التي خصصها حرس شهيمن لهم.. لكن النوم لم يأتي لشخص منهم لشدة حماسه وطمعه في أن يكسب ودا ومالا وسلطة من ملك طماع مثل شهيمن الذي بدا الحظ في فك حيرته يداعبه فهذا الهندي المدعو رابوجان##الخائن الخسيس يريد أن يخبر الملك النصاب شهيمن بقصة جايلمر الحقيقية وأنه الطفل المنسور منذ عشرين عاما!...لذلك أقترح رابوجان علي الزعيم كرمان أن يأخذ الفترة الأولي في الحراسة ويبقي مستيقظا الليلة لتأمين القافلة وهم نائمون قائلا معللا " نحن لانضمن أهل السلطة في هذه البلدة فيما قد يفعلوه بنا ونحن نائمون كما أنني علي استعداد للسهر لأني لاأشعر برغبة في

النوم فانا مضطرب من الملك شهيمن" لقد كان هذا الهندي المراوغ يسعي لأهدافه في الغني والمناصب منذ أن بلغ شابا وكان بارعا في اخفاء ذلك حتي أنه التحق بأكثر القوافل الهندية تجوالا لمشارق الأرض ومغاربها طمعا في أن تسنح له الفرصة التي تكون كضربة حظ عالية لايهوي بعدها أبدا حيث يكون وصل لمركز أقوي في المال والمنصب ويتابع مسيرته الشهوانية في المزيد..

وعلي الرغم من ذلك فإن رابوجان في حيرة من أمره هل يخبر شهيمن ويحصل علي مايريد لكنه لن يسلم من زعيم القافلة كرمان حيث أنه شديد الغلظة من ناحية الخونة.. فجزاؤهم قطع الرقاب ولو كان من أبناء القوم فيكفي أنه لايستحق الحياة لأنه خائن لهم متنمرد عليهم...كما يخشي رابوجان ممن ربوا ترميس(المنسور) اذا علموا أنه سبب في أذيته أو قتله كما خطر ببال الزعيم كرمان من ناحية شهيمن المريبة... صحيح طمعه يبلغ عنان السماء لكن جبنه وتردده يدعه في بئر سحيق...

وبالنسبة لشهيمن الذي لم يسعفه الحظ إلي الآن فهو لم يستطع النوم الليلة هو الآخر في انتظار أي مخرج أو حقيقة عن من سيقتله قريبا لو تمكن منه...ولم يفارقه حديثه لنفسه"من أنت ياجايلمر؟!...ماالذي يريدك غموضك مني؟!... هل فعلا أقتربت النهاية بعدما نازعت الصعاب والمحن لأصل فيما أنا به الآن؟!..فقد أصبحت ملكا بلا أن أكون من سلالة العائلة الحاكمة... ليتني كان عندي قوي شيطانية خارقة لأهون علي نفسي حيرتي من أمري وأعرف مصيري وأغيره لصالحي اذا كان غير ماأريد"...

لم يأتي الجواسيس والمخبرين بأي جديد لشهيمن فيما يخص جايلمر بأي تحركات مريبة منه..وهنا بدأ دخول الفجر ووقت بسيط وستشرق الشمس حيث سيبدأ مراسم حفل توقيع الصفقات مع جايلمر الغامض...ولم ينم حتي الآن لاشهيمن ولا رابوجان فكلا منهما مشغول لحاله وتوتره لكنهما اتفقا من ناحية الخسة والوضاعة..فلقد جمعهما مكان واحد وأعتقد مصير مشترك...

يراقب رابوجان تحركات شهيمن من بعيد بعدما خرج من غرفته يريد التجرأ واخبار الملك النصاب بأمر جايلمر.. ووقتها بدأ يعد شهيمن نفسه للحفل كأنه عريس يتزين لموته بلا عروس حتي...واستغرب رابوجان من أمره حينما لاحظ تحركات غريبة للملك ومعه عدد ضخم من الجنود بملابس فاخرة كأنه سيستقبل أميرا أو ملكا من كبار القوم...ودفعه الفضول لمعرفة مزيد من التفاصيل فقرر التخفي وتتبع شهيمن ليري نهاية ذلك الشغف وبالمرة كلما يقترب منه يزداد قلبه قوة في اخباره أمر جايلمر الحقيقي....

يبلغ الجزء الشمالي من القصر الفخم الواسع حالة من الاستنفار الأمني الملكي ومن الشعب اللذين أرادوا مشاهدة العروض المبهجة للحفل الذي سيكون نهارا خلافا للمعهود من المناسبات الليلية.. وتلك المنطقة بعيدة عن مكان استضافة القافلة الهندية إلي حد لايسمح لهم لارؤية ولا سماع أي شئ من الحفل... كما أنهم غارقون في نوم هنئ باستثناء رابوجان الخسيس الذي تمكن في خلسة من ركوب إحدي العربات المرافقة لشهيمن لكن ليس بالطريقة العادية حيث تمسك من الأسفل طمعا في رغبته التي تهدده كل مدي في كشف الحقيقة...

تسير العربات بشكل متتابع حتي وصلت إلي الجزء الشمالي حيث الحفل الكبير الذي نجمه الأساسي التاجر الغامض جايلمر الذي هو الآخر لم ينم الليلة الماضية للاعداد والتصميم علي خطة التحرير التي نسقت مع العجوز كامن...

وصلت الساعة إلي السابعة صباحا والكل متأهب للحفل المثير.. وبدأت العروض البهلوانية الشقية علي أعلي مستوي من التناسق والاحترافية فهذا تخصص كل بهلواني يعمل في البلدة... وبعد حوالي ساعة بدأ شهيمن في القاء خطبة واعدة عن مجالات تجارية تعاونية عظيمة مع الشاب الواعد جايلمر سترفع من القيمة الاقتصادية للبلدة وبالتالي سيرتفع دخل الفرد الواحد إلي مستوي يليق به و بالنسبة للجملة الأخيرة فهي تعبير مجازي لايمت للواقع بصلة فأي زيادة في الدخل القومي للفرد وهو مقهور مظلوم مذلول للسلطة الفاسدة البطاشة لكل مال ومنصب...

ويأتي الدور التقديم للتاجر الشاب جايلمر الذي ألقي خطابه بحبه لشعب بنجواس ورغبته الكبيرة في عقد استثمارات تكن في صالحهم وبدأ في عرض الكثير من المجوهرات والأحجار الكريمة الفاخرة زاهية الألوان وتدخل القلوب بعمق...ثم تبدأ اللحظة الحاسمة في تنفيذ خطة الخلاص من السلطة الفاسدة حيث من ضمن الاستعراض يقف صف طويل من أهل السلطة بداية من الملك شهيمن وحتي الندل القديم ريتشارد وعدد كبير من قيادات البلدة اللذين لاتفرق أمثالهم عن الدونية بما فيهم عدد كبير من الجنود وقياداتهم.. ويبدأ جايلمر بوضع في كل يد ظالمة قطعة معينة من المجوهرات الزاهية الصارخة في الجمال وماهذه المجوهرات بالطبيعية بل أنها مصنوعة من مواد كيماوية وبيها فطريات قاتلة تنشط سريعا بمجرد تركها في الهواء لوقت بسيط ومن يلامسها يصاب بعدها بحوالي دقيقة بعفن أسود ينتشر في الجسد بدءا من الجلد وفي أقل وقت يصل لجميع أنسجة الجسم حتي يتمكن من القلب ثم الوفاة مباشرة...وما أن لبث المنسور بوضع كل جوهرة قاتلة في يد كل قيادة ظالمة حتي سمع صراخ عالي يقول "إنه ترميس ياجلالة الملك شهيمن.. ذلك الطفل المنسور.. هذا ليس بجايلمر.. هو يكذب عليكم.."... وهذا الصوت يخص رابوجان الهندي الخائن الذي انتفض من تحت العربة وظهر أمام الجميع بعدما تغلب علي ترده وأخبر شهيمن بالحقيقة!...لكن هذا لم يسبب قلق للمنسور حيث ابتسم في شماتة ناظرا للوجوه الظالمة قائلا" نعم ياسادة أنا ترميس ابن ماتشف وجولاما اللذين ذاقا أبشع الظلم كما تعلمون جميعا وقتلا مظلومين بعدما استطعا تهريبي مع نسر مهاجر لبلاد الهند..وقد جئت بعد عشرين عاما لأخذ حق والدي ولشعبي المسكين وها أنا آخذا له الآن...ولم تكن نهاية الظلم في بلدتي بنجواس ببعيدة أبدا إنما فقط كانت مسألة وقت واختيار ظرف مناسب مثلما نحن عليه.. " وفجأة يأتي ملثمون بقيادة كامن العجوز البطل ويسلموا بسرعة لعدد كبير من الشباب الحاضرين من الشعب أكياس من مساحيق لها نفس خاصية الفطريات القاتلة لكن في وقت أسرع عن المجوهرات المصنوعة منها استعدادا لقتل ماسيتبقي من الجنود حيث إنها حرب التحرير الكبري للبلدة المقهورة فلتكن الآن هي القاهرة للظالمين.. وبدأ المفعول السريع للفطريات ينتشر من المجوهرات المزيفة إلي جسد الطغاة حيث كان آخر عهدا لهم علي الحياة... وداعا للقلوب الميتة القاسية الدنيئة هذا ما قدمتموه أيها الحقراء لشعب فقير مسكين..وقبل أن يتكلم ترميس بأي كلمة

أخري أخذ شهيمن وهو يتعذب من الفطر الفتاك يصرخ بأعلي صوت "اضرب الآن... اضرب"..

وبدون أي مقدمات انطلق سهم سريع مسموم ناحية قلب ترميس المنسور حتي طعن فيه وكان صاحب الضربة الدنئ اتفق معه شهيمن لقتل جايلمر عند الاشارة المناسبة حينما يثبت أنه من يريد قتله في هذا الحفل السعيد المشؤوم! .. حينها أحس الشاب المنسور بانتفاضة في جسده ورعشة وتعكز علي عمود جانبه حتي نزل إلي الأرض وبدا يحس بفرحة شديدة عامرة تنبع من قلبه المطعون كأنه انتصر ووفي بالوعد لوالديه اللذين لم يعي لهما بأنه سيأخذ بثأرهما حينما تحين الفرصة المناسبة..وأخذ يجر في جسده حتي وصل إلي الحقير السابق ريتشارد الملقي علي الأرض مذلولا أكثر مما كان عليه ويلتقط أنفاسه المعدودة بصعوبة وحدثه المنسور قائلا "موتا سحيقا وضيعا ياطاغي الطغاة... أسكنك الله جحيمه وألبسك منه وأطعمك منه واسقاك من صديد جسدك ومن صنيع عملك... لقد دار الزمان والمكان عليك بعدما كنت قويا فتكا...أم الآن فانت صعلوكا مهمشا تموت ميتة الكلاب الطريدة فهذا جزاء من قتل الأبرياء وأقام الحكم ظلما..لقد قتلت والدي وها أنا قتلتك أنت وجميع أتباعك.. إلي اللقاء عند ربا يحكم بيننا بالحق وهو أحكم الحاكمين.. "

و ينظر ترميس إلي ماحوله فيجد مايسر قلبه أكثر فلقد تساقط الجنود الظالمين الأشقياء التابعين للطغاة وأخذ الشعب يهتف بالانتصار علي الظالمين قائلين"يحيا.. المنسور...يحيا البطل الأقوي... يحيا أميرنا.."... كل هذه الأحداث السعيدة تنظر اليها عين المنسور الباكية بدموع الفرحة.... حقا إن الحياة ليس لها معني إلا بفعل أشياء توجب علينا أن نفعلها ولو كان الثمن هو الحياة نفسها..

تسيل الدماء بغزارة أكثر وبفرحة أكبر من قلب المنسور ويجري عليه كامن العجوز باكيا بصراخ قائلا "انهض ياترميس.. لقد ظهر الحق...انهض لتقودنا أيها الأمير.."..

ينظر اليه ترميس بنظرات أخيرة وبنفس متصاعد غير راجع قائلا "أخبر شيخي الفاضل اسماعيل تجاني أنني أحبه كما أحب والدي فلقد كان هو وأسرته عائلتي الروحية... أخبرهم كلهم أني قلبي معهم..."...

ثم يستكمل المنسور بحشرجة في النفس فلقد قاربت الروح علي الخروج من الجسد قائلا "وأنت أيها الشيخ الجميل الأمين.. ساتركك لتجعل حكام البلدة أهلها من الصالحين.. ثقوا في أنفسكم وتجرأوا علي الظلم مهما كان طالما أنكم مع الحق... فالغلبة لكم فالله هو الحق والأقوي..."... ثم يسكن النفس ويقف اللسان عن الكلام والقلب عن الضخ...ويعم هدوء رهيب علي الحاضرين ناظرين إلي المنسور بعيون مفجورة بالدموع متحسرين في أنفسهم علي الفقيد الشاب الذي أعان الله به الحق حتي الانتصار..وتذكر الشعب البطل وصية ماتشف وجولاما أن يخبروا ابنهم كم كانا يحبانه ولولا الظروف القاسية والحكم الظالم لضماه إلي حضنهما وهو كبير وردت اليهما سعادة كبيرة مثل الفرحة الأولي بولادته ولقد وصلت بالفعل الوصية لترميس وكان خير من يؤديها فما فيه الآن دليل علي حبه الصادق لماتشف وجولاما اللذين أول من ضحي لأجله.. رحم الله الوالدين وترميس الذي كان هو الأولي بقيادة شعب

بنجواس فذكائه وقوته ورشده كان غاليا جدا ومن أساسيات الحكم الرشيد... لقد مات من حررهم بعد ظلم طويل... لقد تركهم من يحبهم ويحبونه أشد الحب علي الرغم أنه كان بعيدا عنهم طيلة حياتي إلا الأيام الاخر شاء الله أن يجمعهم فيها معا لهذا الحب الثمين..وإنه لحب دائم حتي بعد الموت لأنه ما كان إلا حبا أصيلا من قلوب بيضاء....

أخذت الأخبار تزف في كل أرجاء البلاد الانجليزية بداية من بنجواس بقصة ما حدث..وماوصلت اليه الشهامة والمروءة من انتصار...ويلبث أحدا أن يسمع ماحدث إلا وتمني أن يري هذا الشاب الجرئ القوي العبقري ليقبل يده علي رجولة قلبه...

يكفن المنسور وتشيع جنازته المهيبة التي حضرها كل أبناء البلدة وأناس آخرين مما حولهم من البلاد تعاطفوا مع قصة البطل المنسور كما أنهمر في بكاء صارخ المساعد جليم الذي كان مخلصا طوال الفترة مع المنسور... انت طيب ياجليم وانسانا لك قلب فياض بالمشاعر الصادقة... أكرمك الله أنت الآخر... ودفن الشاب ترميس بمقبرة كانت مصممة لملك البلدة.. فهو أولي بها من ريتشارد أو شهيمن أو اندالهم جميعا... والجميع في سكوت وتدبر لعظمة الوقوف مع الحق وانتصار الأخيار.. وكان من بين المشيعين القافلة الهندية اللذين أصابهم الذهول والدهشة لما حدث لهم من تغفيل شهيمن لهم فلو علموا بما خطط له من قتل المنسور لنهالوا عليه بتقطيع جسده ولو علي رقابهم...كما لم يتبقي من أتباع الطغاة إلا شخصين قد اعتقلا من قبل أهل البلدة أولهما من ضرب ترميس بالرمح المسموم ثانيهما الندل الخسيس رابوجان الهندي الذي كشف حقيقة المنسور.. وطبق عليهما الاعدام بقطع رقبتهما مرة واحدة بسيف مسلول...

وقد وصل خبر وفاة المنسور لشيخه الأكبر اسماعيل تجاني ولأسرته فنهالوا بالبكاء والحزن الشديد ولم يتحمل الشيخ الخبر وتوفي بعدها بثلاثة أيام بعد مرض ثقيل مفاجئ... كما بكي جميع أهل بلدة راطشان بحزن بالغ حتي الأطفال نفسهم بكوا تحسرا علي من كان يرونه قدوة يحتذي بها في الحياة الناجحة.. وصارت قصة المنسور تتحاكي بين شعوب القري والبلدان من بلاد الانجليز لبلاد الهند لأجزاء واسعة عابرة للقارات....

واستطاع أهل القرية الانفراد بالحكم الذاتي لهم بعيدا عن العائلة الانجليزية الحاكمة التي لم تجد مفرا غير البعد الآمن عن أهل بلدة بنجواس اللذين صاروا أشبه بأسود تنهش من يستفزها... نعم القوة قوة الحق...سدد الله خطاكم أيها الشعب البنجواسي الطيب.. أنتم أيها الطيبون تستحقون كل خير طالما أنكم مع الحق وللعدل قائمين...يقف كامن علي أعلي تبة في البلدة لينظر بعزة نفس إلي الشعب المنتصر وفجأة يلوح في الأفق نسر ضخم يصدر صفيرا مدويا... ماذا؟!... هل أنت النسر الزعيم البطل الذي حمل البطل المنسور؟!.. عسي أن تكون أنت أيها الطائر الجريح جئت لتلقي نظره علي شعب يفخر بصنيعك الجميل...

رحم الله من كان قلبه مطعونا في سبيله.....

.....انتهاء.....